مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجلّةٌ - إسلامِيّةٌ - ثَقافِيّةٌ - جامِعةٌ - مُحكمَةٌ

تَصدُرُ سَنوِيًّا عَن

كُلِيّةِ الدَّعوةِ الإسلامِيّةِ

العددان الواحد والثلاثون والثاني والثلاثون

لسنة 1439 – 1440 الهجرية الموافق: 2017 – 2018 الميلادية

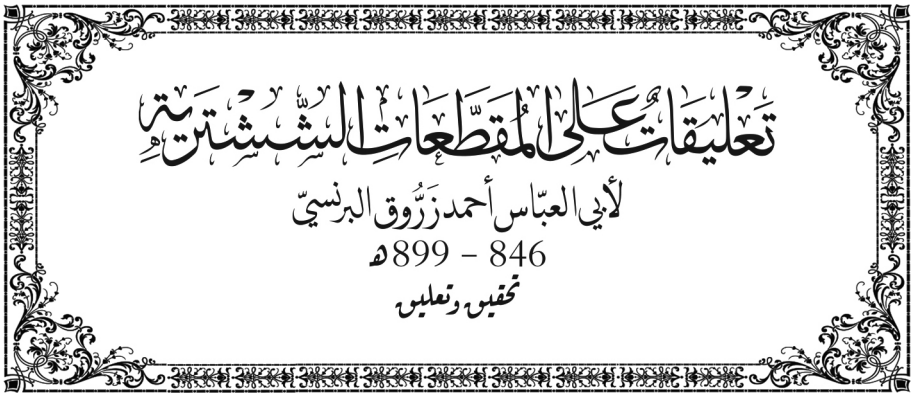

تَعليقاتٌ على المقطّعاتِ الشُّشترية

لأبي العبّاس أحمد زَرُّوق البرنسيّ

846 - 899هـ

تحقيق وتعليق

أ. د. عبد الله محمّد الزيّات

جامعة طرابلس - ليبيا

الحمد للَّه ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على محمد خَاتم الأنبياء والمُرسلين، وسيِّد المُصطفين والمُتَّقين؛ صلَّى اللَّه عليه وسلم. وبعد:

فالمُقطَّعات مُفردها مقطعة، وهي: المجموعة من أنصاف الأبيات، أو الأبيات الشِّعريَّة ذات معنى مُحدَّد أو وزن خاصّ، وفي النقد العربي القديم كانت توجد القطعة، وهي ما نقص عن التسعة أو السبعة أبيات من الشِّعر[1]، لأنَّ ما زاد على ذلك يُسمَّى قصيدة وما نقص عن الثلاثة أبيات يُسمَّى نتفة أو بيتاً يتيماً.

وقد فرَّق حازم القرطاجني بين المُقصِّدين من الشُّعراء؛ أي: الذين يقولون القصيدة دُفعة واحدة وفي معانٍ مُتعدِّدة، رابطين بينها، مُستطردين من معنى إلى آخر في سَبْك جيد وأُسلوب مُتناغم، والمُقطِّعين منهم، وهُم الذين يقولون القصيدة القصيرة أو الأبيات في مَعْنى واحد؛ أي: قطعاً قطعاً[2]،

(1) انظر: **العمدة**، لابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدِّين عبد الحميد، ط4، دار الجيل، بيروت، 1972، 1/ 188.

(2) انظر: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق وتقديم محمد الحبيب ابن الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص323-324.

وربَّما كان لهذا الذي يُشير إليه عَلاقة بما أطلق على ديوانه الذي قام على تحقيقه ابن الخوجة بعُنوان: «قصائد ومُقطَّعات حازم القرطاجني»[1].

وقبل القرطاجني نجد في العُمدة المُصطلح قطعة ومقاطيع ومقاطع[2] وهي كُلَّها لا تتنافى مع المُقطَّعة التي تعني مجموعة من الأبيات، أو أنصاف الأبيات، أو وحدة شِعريَّة لا تقوم على وحدة البيت والقافية[3]، كما هو الشَّأن في الأنواع الشِّعريَّة المُستحدثة في الشِّعر العربي مثل: الدوبيت، والكان كان، والقوما، والموشَّحات، ثم الأزجال، وهذه الأخيرة هي التي تعنينا بالدَّرجة الأُولى؛ لأنَّ هذه المُقطَّعات زجلية، وقد سُمِّيت الموشحات والزجل في بعض اللُّغات اللَّاتينيَّة الجديدة poesía estrófica. الشِّعر المُقطعي.

والزجل فن شِعري ظهر في الأندلس تالياً للفن الشِّعري الشَّعبي الآخر وهو الموشَّحات، وقد كان من أبرز عناصر التجديد في هذا الشِّعر الشعبي (الموشَّحات أو الزجل) استعمال وحدة شِعريَّة غير البيت تستقل بالوزن والقافية عن أجزاء أُخرى، أو وحدات أُخرى، مع اتِّفاقها مع بعض الوحدات -أيضاً- في الوزن والقافية أو في أحدهما، في الوقت الذي تتنوَّع فيه القافية داخل كُلّ وحدة.

كما كان من أبرز مظاهر التجديد في الشِّعر الشَّعبي في الأندلس استعمال اللَّهجة العامِّية الموجودة في زمن ذلك الفن الشعبي بشقَّيه، غير أنَّ اللَّهجة كانت أكثر شُيوعاً في الزجل منها في الموشَّحات، بل إنَّ الزجل لا يُعد زجلاً حتى يكون في اللَّهجة العامِّية؛ أي: تكون الكلمات دون إعراب؛ لأنَّ الإعراب فيه لحن كما قال عنه الشاعر الكبير في هذا الفن ابن قزمان:

(1) الدار التونسية للنَّشر، 1972.

(2) انظر: **العمدة**، 1/ 188، وينقل ابن رشيق أنَّ الجوهري كان يُسمِّي نوعاً من الشِّعر وهو المقطوعات القصيرة: الشِّعر المُقطَّع، **العمدة**، 1/ 185.

(3) انظر: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، لمجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، 1979، ص208.

«أقبح ما يكون في الزجل وأثقل من إقبال الأجل»[1]، بل إنَّ الإعراب في الزجل أقبح من اللَّحن في الكلام العربي الفصيح «وليس اللَّحن في الكلام المعرب القصيد أو الموشَّح بأقبح من الإعراب في الزجل»[2].

واللَّهجة في الأندلس كانت عربيَّة عاميَّة أو في بعض الأحيان بها بعض الأعجمي، وقد كان الششتري من بين من برزوا في هذا الفن؛ أي: الزجل، وقد وظَّفه في الشِّعر الصُّوفي كثيراً كما وظَّف سَلَفه ابن عربي الموشَّحات في التصوُّف أيضاً، وللششتري ديوان أكثره في هذه الطريقة كما أنَّ له أزجالاً أُخرى كثيرة غير ما في الديوان، أوصلها أحمد زروق إلى أكثر من سبعين مُقطَّعة[3]، ومن بين هذه الأزجال المُقطَّعات هذه التي قام الصُّوفي أحمد زروق على شرحها أو التعليق عليها في هذه الرسالة، وهي أربع مُقطَّعات.

وَرَغم الدِّراسات العديدة التي قامت على أزجال وموشَّحات الششتري[4] فإنَّ هذه المُقطَّعات موضوع الشَّرح، وهو هذا الكُتيِّب، لم تر النور من قبل ولم يعرف هذا الكُتيِّب أو الرسالة إلا مشاراً إليها في كُتب الفهارس وتراجم الرجال.

وأبو الحسن الششتري شخصيَّة معروفة في مِيدان التصوُّف والزجل أندلسي الأصل والنشأة، مَشرقي الهجرة والوفاة، وقد كانت طرابلس من مَحطَّات هجرته إلى الشرق؛ حيث أقام فيها مُدَّة شهدت ميلاد بعض إنتاجه لعلّ المُقطَّعات المشروحة في هذه الرِّسالة من بين ما شهدته هذه المُدَّة التي عاشها في طرابلس، ومعلوم أنَّ الشيخ أحمد زروق عرف طرابلس وعاش

(1) **ديوان ابن قزمان لغة ونصّاً وعروضاً**، ف. كرينتي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1980، ص2.

(2) السابق، ص3.

(3) انظر: الورقة 7ب.

(4) مثل **ديوان أبي الحسن الششتري**، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، ط1، دار المعارف، الإسكندريَّة، 1960، وكتاب المُستعرب فيديريكو كرينتي القرطبي Fedirco Correiente de Córdoba: Poesía estrófica atribuia al místico granadino Assustarí,sigloXIII d.C., Consejo Superior de Investigaciones Científicas. Madrid 1988.

قريباً منها في مدينة مِصراتة فترة مُهمَّة من حياته؛ حيث احتضنته هذه المدينة حيّاً وضمَّت رفاته بعد وفاته، لكن معرفة زروق لطرابلس ومِصراتة كانت بعد معرفة الششتري لطرابلس بحوالى قرنين من الزمان.

التعريف بالمؤلف والمخطوط:

وقد كفانا الشيخ أحمد زروق التعريف بالشيخ أبي الحسن الششتري؛ صاحب النَّص المُعلَّق عليه؛ إذ خصَّص فصلاً في التقديم لشرحه للتعريف بالشيخ أبي الحسن؛ أمَّا الشيخ أحمد زروق واضع هذا التعليق فهو: أحمد ابن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي: عالم، فقيه، مُحدِّث، صوفي، له رحلة شرقاً وغرباً، ولد بفاس عام 846هـ، وتوفِّي والداه في الأُسبوع الأوَّل من ولادته، فربي في حِجْر جَدَّته التي كفلته حتى بلغ عشر سنين، وحَفِظ القُرآن، وترقَّى في سُلَّم طلب العِلْم آخذاً عن مشائخ عصره بالمغرب من أمثال علي السَّطي، وعبد اللَّه الفخَّار، والقوري، والزرهوني والمجاصي، وعبد الرحمن المجدولي، والثعالبي، وإبراهيم التازي، والمشذالي، وحلولو، والسراج الصغير، والرصاع، والإمام السنوسي، وابن زكري، وبالمشرق بمصر والمدينة من أمثال: النور السنهوري، والحافظ الدميري، والسخاوي، وأبي العباس الحضرمي[1]، وممَّا قاله فيه مُعاصره ابن غازي: «صاحبنا الأود، الخُلاصة، الصفي، الفقيه، المُحدِّث، الفقير، الصُّوفي، البرنسي، الشهير بزروق»[2].

وقد أخذ العِلْم عنه جماعة مثل: الشمس اللَّقاني، ومحمد بن عبد الرحمن الحطاب، وغيرهما، وله رحلة، وحجَّ عدة مرات، واستقرَّ في مدينة مِصراته، وتوفِّي هناك عام 899هـ[3].

(1) انظر: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، لأحمد بابا التنبكتي، ص130-131.
(2) **فهرس ابن غازي**، تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة، تونس، ص126.
(3) انظر: **نيل الابتهاج**، ص132 و**الأعلام**، للزركلي، 1/ ص91.

ترك الشيخ زروق مؤلَّفات عديدة، ذكر له مُترجموه والمُهتمُّون بدراسته ما نيف على الثمانين عنواناً[1]، يُلاحظ أنَّ كثيراً منها هو شرح لكتب السابقين؛ فقد أغرم زروق بشرح كتب سابقيه، مثل حكم ابن عطاء اللَّه التي عمل عليها شروحاً عديدة، وأُرجوزة القرطبي التي شرحها مَرَّتين[2]، وأغرم خاصَّة بشرح الأعمال الأدبيَّة ذات الطابع الزهدي الصُّوفي مثل رائيَّة الشريشي، وآثار الششتري من هذا النوع مثل المُقطَّعات التي قام على التعليق عليها هذه الرسالة، ونونيَّته التي مطلعها: (طويل)

أرى طـالـبـاً مـنـا الـزيـادة لا الـحـسـنـى

بـفـكـر رمـى سـهـمـاً فـعـدّى بـه عَـدْنـا[3]

التي وصفها المقري بأنَّها: «طويلة مَشْهورة بالشرق والغرب، وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا العارف باللَّه تعالى سيدي أحمد زروق نفعنا الله تعالى ببركاته»[4].

ومِمَّن نسب شرح المُقطَّعات إلى زروق أحمد بن القاضي[5] وأحمد بابا التنبكتي[6]، وغيرهما.

وقد قمنا بتحقيق هذه الرِّسالة من خِلال أصل مجموع مخطوط موجود بمكتبة مركز الوثائق والمخطوطات بمدينة طرابلس يحمل الرقم[7] 849 وهو من ضِمن مجموعة مكتبة الأوقاف، بمقاس 15 × 20 يشمل عدة كُتب ورسائل مثل:

(1) انظر: **أحمد زروق والزروقيَّة**، علي فهمي خشيم، ط3، دار المدار الإسلامي، بيروت، سبتمبر 2002، ص93-140.

(2) انظر: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من علماء القرن العاشر**، لابن عسكر، ص50.

(3) **نفح الطيب**، 2/ 186-187.

(4) السابق الصفحة نفسها.

(5) انظر: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، 1/ 130.

(6) ص131.

(7) هذا الرقم هو ما ذكره الأُستاذ إبراهيم الشريف في فهرسته لمخطوطات مكتبة مركز جهاد اللِّيبيين، 2/ 313، أمَّا على المخطوط نفسه فيوجد الرقم 1578.

شرح حزب أبي الحسن الشاذلي لعبد الرحمن الفاسي.

شرح زروق للحزب نفسه.

شرح على حزب البحر لزروق أيضاً.

الكهف الرقيم في شرح بسم اللَّه الرحمن الرحيم لعبد الكريم الجيلي.

تُغطِّي فيه هذه الرسالة المُحقَّقة سبع عشرة ورقة، بدئ فيه بظهر الورقة الأُولى، وكُلّ وجه أو ظهر من الورقة يحمل 21 سطراً، ما عدا الورقة الأُولى التي لم يكتب إلَّا في ظهرها، كُتبت هذه الرِّسالة بخط مغربي واضح وجميل، وقد جاءت العناوين ومتن المُقطَّعات وبعض الكلمات مثل قال أو سئل أو عند بداية فقرة جديدة، جاءت بلون أحمر، أمَّا الشَّرح فقد كُتب بحبر أسود اللون.

وَرَغم أنَّ بعض الرسائل الأُخرى التي يحملها هذا المجموع قد ذكر ناسخها فإنَّ ناسخ شرح المُقطَّعات لم يذكر، وهو على أيَّة حال ليس المؤلف؛ فقد جاء في أوَّلها: «قال الشيخ الإمام الهمام عَلَم الأعلام... أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي شهر بزروق»، كما جاء في آخرها: «قال سيدنا وأُستاذنا ووسيلتنا إلى اللَّه عز وجل، العارف بربه سيدي أبو العباس أحمد زروق نفعنا اللَّه به: وهذا ما يسَّر اللَّه من هذا النوع،... وباللَّه التوفيق، وهو حَسْبنا ونِعْم الوكيل... وآخر دعوانا أنَّ الحمد للَّه ربِّ العالمين».

وتأتي أهمِّيَّة تحقيق شرح المُقطَّعات لكَوْنها تُمثِّل شرحاً لأدب صوفي جاء في نوع خاص من الشِّعر وهو الزجل، وأدب التصوُّف مُهمّ لأنَّه يُبيِّن لنا الطُّرق التربويَّة التي طَبَّقها بعض عُلماء المسلمين على أنفسهم وعلى تلاميذهم ومُريديهم فترة مُعيَّنة من تاريخهم، ولا بدَّ أنَّه بقي شيء مُهم حتى اليوم من هذه الطُّرق يُمكن أنْ يكون مفيداً في التربية والسُّلوك، كما يستمد هذا الشرح أهمِّيَّته لكَوْنه يشرح هذا النوع من الشِّعر وهو الزجل الذي يعني في الأندلس اللَّهجة الأندلسيَّة التي يُمكن أن تُمثِّل تطوراً للُّغة العربيَّة في الأندلس يُمكن أنْ تُلاحظ فيه أوجه التقارب والتطابق أو الاختلاف والتباعد مع اللَّهجات العربيَّة الأُخرى وخصوصاً المغاربيَّة.

وقد كان التعليق صوفيّاً خالصاً، ولم يحوِ أي مَظَاهر لُغويَّة، اللَّهم إلَّا صِياغة هذه المُفردات، ووضع هذه العِبارات التي تُعتبر صُورة للَّهجة الأندلسيَّة في النِّصف الأوَّل من القرن السابع الهجري، أو مُحاولة إفهام هذه المعاني إنْ جاز أنْ نجعل هذه المُحاولة ضِمن الشرح اللُّغوي، وكان من أهم مصادر زروق في هذا الشرح شيوخ الصُّوفيَّة السابقون له، خصوصاً مشايخه الذين عاصرهم، أو من أخذ عنهم عن طريق ثالث؛ أي: شيوخ شيوخه، فقد أكثر من الاعتماد على فكر الششتري وابن عباد وابن عطاء اللَّه السكندري وأبي مدين شعيب التلمساني وغيرهم آخرين مِمَّن لم تكن لهم شُهرة هؤلاء.

وزروق ينتمي إلى المدرسة الصوفية الشاذليَّة[1]، ولكنَّه يختلف معها بعض اختلاف، لعلَّه هو السَّبب الذي جعل زروق يختلف مع الششتري المُنتسب إلى الشاذليَّة أيضاً [2]والذي يُعلِّق زروق على آرائه الصُّوفيَّة، فيعترض في بعض الأحيان على بعض أفكار الششتري[3] واصفاً إياها بالتساهل، أو بأنَّها لا يُعوَّل عليها [4]، ولا غَرابة في ذلك إذا علمنا أنَّ زروق كان يتمتَّع بروح نقديَّة للأفكار الصُّوفيَّة السائدة في عَصْره[5] والسابقة لِعَصْره أيضاً.

[1/ب] بسم اللَّه الرحمن الرحيم

وصلَّى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله

قال الشيخ، الإمام، الهمام، عَلَم الأعلام، شيخ الطريقة، وإمام أهل

(1) يذكر علي فهمي خشيم أنَّ الطريقة أو المدرسة الأُم لزروق هي الشاذليَّة غير أنَّ هذه الأخيرة تفرَّعت عنها فُروع من بينها الزروقيَّة، وهو يسوق كلاماً في ذلك للشيخ السنوسي، أهمّ شُرَّاح الزروقية، انظر: **أحمد زروق والزروقية**، علي فهمي خشيم، ص188.

(2) انظر: **المطرب في مشاهير أولياء المغرب**، لعبد اللَّه التليدي، ص127.

(3) كان الششتري قد أخذ عن ابن سبعين وخدمه ولزم مذهبه حتى سَمَّى نفسه بعبد ابن سبعين، انظر: **نفح الطيب**، للمقري، 2/ 185.

(4) انظر: ص3/ب.

(5) انظر: **أحمد زروق والزروقية**، علي فهمي خشيم، ط3، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص271.

الحقيقة، جامع أشتات أهل الفضائل، مُعلِّم الفقهاء، ومؤدِّب الفُقراء في الخَلَوات والمَحَافل، وكفى به شرفاً؛ حيث ما كان سكون العين[1]، وهو قائل الأدب، الأريب اللَّبيب، المُفيد المُستفيد، وهو الغيث النافع، القطب الغوث الجامع، أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي شُهِر[2] بزروق[3] رضي اللَّه عنه وعنَّا به آمين:

الحمد للَّه الذي منَّ ومنح، وتفضَّل فأكرم وفتح، حمداً تتم به النِّعم المُتظاهرة، وتُنال به عافية الدُّنيا وثواب الآخرة، والصَّلاة والسَّلام على محمد الطاهر المُطهّر، وعلى آله وأصحابه، وأُمته؛ من تقدَّم منهم ومن تأخَّر، صَلَاة يعود علينا نفعها من غير مضرة، ولا تزال أحكامها دائماً مُستمرَّة، أما بعد:

فالقَصْد بهذه الأسطار المرسومة[4] تعليق شيء على المُقطَّعات الششتريَّة المعلومة؛ لينتفع بها الجاهل في حاله، ويتَّسع التصدُّر في مقاله، ويرتفع الإشكال عن ضعيف المُعارضة، ويترك المُنصف الإنكار والمغارضة[5]، ويذهب ما في ظاهر الكلام من الأوهام، وينفتح باب الفتح، لِمَن له به إلهام، وتحصل فائدة الكلام للقائل والناقل[6]، ويكون السامع من الذَّاكر لها قد حصل على كُلّ طائل، وإلى اللَّه أضرع في تيسيره وتحقيقه، ومنه أسأل الهداية[7] والتوفيق لسواء طريقه، وهو حَسْبنا ونِعْم الوكيل، وأقدم بين يدي [2/أ] الكلام مُقدِّمة تحتوي على ثلاثة فُصول، وتُحيط بجُملة من القواعد والأُصول:

---

(1) وردت في المخطوط سُكوت الغين، ولم أفهم لها وجهاً، فلعلَّها كما أثبت؛ أي: أنَّه يقصد الواو التي في لفظ الغوث وهو اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى.

(2) وردت في المخطوط مُشدَّدة الهاء وأظنّه من خطأ النُّساخ.

(3) انظر: ترجمة أحمد رزوق في **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** لأحمد بابا التنبكتي، عناية وتقديم الدكتور عبد الحميد الهرَّامة، ط2، منشورات دار الكاتب، طرابلس الغرب عام 2000 إفرنجي، ص130-134.

(4) ورد في المتن (الاستظهار المرسوم) والتصويب ورد في الهامش بخط مُغاير.

(5) هكذا وردت العِبارة، ولعلَّ المقصود منها اتِّباع الهوى والحاجة في نفس المرء بدل اتِّباع ما يظهر من الحقّ والدليل.

(6) وردت بالمخطوط الغافل وليس لها معنى في السياق.

(7) في المخطوط وردت البداية.

الفصل الأوَّل: في حقيقة الطريقة، وما يجب على المُريد ليتَّصل بالحقيقة: اعلم أنَّ جُملة طريق القوم تحتوي على ثلاثة أشياء:

أوّلها - إقامة الحُقوق الشرعيَّة والآداب السَّنية، ويُسمَّى في باب الترك تَقْوى وزهادة، وفي باب العمل توجهاً وعبادة، ومدارها على الرجاء والخوف، تصديقاً بوعد اللَّه ووعيده، ومرجعها إلى حمل النفس على أخلاق القُرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[1]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ الآية[3]، وهذا النَّوع لا يحتاج إلى شيخ تربية، بل إلى شيخ تعليم، واختلاف الطُّرق فيه لا يصح إلَّا حيث خيّر الشارع من غير تحجير، ولا منع من غيره، ولكن ينبغي أنْ يؤخذ فيه بالاحتياط مع توسُّط؛ لأنَّ خير الأُمور أوسطها.

الثاني: تصفية الأخلاق النفسانيَّة، واكتساب الأخلاق الإيمانيَّة، ويُسمَّى في باب الترك التَّخَلِّي -بالخاء المعجمة- وفي باب العمل التَّحَلِّي -بالحاء المهملة- والكُلّ أراده، ومَدَارها[4] على مُراقبة الحَواس وعدّ[5] الأنفاس، كُلّ بأحكامه اللَّازمة له في العُبودية؛ فإنَّ العبد لا يخلو عن أربعة أحوال؛ نعمة يجب عليه شُكرها، وبلية يجب عليه الصبر فيها، وطاعة يحتاج إلى شهود السّنّة بها، ومعصية يحتاج إلى توبة منها، ولا يتمّ له ذلك إلَّا بترك [و][6] إهمال نفسه، وعدم رضاه عنها، ولا يتم له عدم الرضا عنها إلَّا بالرجوع في أمرها إلى علم أخ صالح، أو شيخ ناصح، وعليه وظائف ثلاث: حسن الظن بكل عباد اللَّه في غير الاحتراز منهم، وإقامة الحُقوق الشَّرعيَّة [2/ب] والآداب السنية، من غير

(1) سورة الفرقان، الآية: 63.
(2) سورة الأحزاب، من الآية: 35.
(3) سورة التوبة، من الآية: 113.
(4) في الأصل يبدو أنَّها كتبت بالهاء للمُفرد المذكَّر (مداره) ثم جعلت بهاء المؤنث (مدارها).
(5) بالأصل «وعدد»، ولعل الصَّواب «وعد» بدال مشدَّدة؛ أي: تعدادها.
(6) في الأصل بدون الواو وزيدت لاستقامة النص.

تفريط ولا إفراط، والتزام الشكر واللَّجأ[1] والاستغفار في كُلّ حال من أحواله؛ لأنَّ كُلّ صادر فيه نعمة وبليَّة، ويقترن به تقصير أو ذنب، وكُلّ شيء من اللَّه فهو يحتاج إلى أنْ يكون شِعاره في كُلّ حال: الحمد للَّه، أستغفر اللَّه، لا حول ولا قُوَّة إلَّا باللَّه، فإنَّ مدار طريقه على ذلك، وعلى اختلاف الأذكار، والتوجيهات، وكُلّها راجع إليها، إمّا جُملة أو تفصيلاً.

الثالث: تحويل النفس عن عالم الخلق إلى عالم الحقّ، وهو التعرُّض للتَّجَلِّي -بالجيم- وهو تجلِّي الحقيقة، وهُنا اختلف[ـت][2] طُرق المشائخ وتشعَّبت، لاختلاف حال المُريدين المبتني على اختلاف النَّسب والتوجُّهات الإلهية، وفي هذا المحل ضَلَّ خَلْق كثير، وخرجوا إلى أُمور لا حاجة بها، فالشيخ في هذه الوجهة فرض عين، وشُروطه ثلاثة: التزام السنة جُملة وتفصيلاً، وإقامة الحرمة تفريعاً وتأصيلاً، وكمال الهمّة وجوداً وتحصيلاً، ولقد قال لنا سيدنا رضي الله عنه[3]: «ارتفعت التربية بالاصطلاح في سنة أربع وعشرين وثمانمائة من جميع الأرض[4]، ولم يبقَ غير الإفادة بالهِمَّة والحال، وهو أهم، بل أتم»[5] وكان فيما كتب لي يوم ودعته: «وعليك بالذكر وكَثرة الصَّلاة على رسول الله ﷺ، وهي سُلَّمٌ ومعراج وسُلوك إلى اللَّه تعالى إذا لم يلق الطالبَ شيخ مُرشد»، قلت: وذلك يرفع هِمَّة المُتوجِّه، وإن كان في مقام التخليط؛ لأنَّه نور كُلّه، والنور ينفي الظلمة، فهي أعظم فائدة والحَمْد للَّه.

---

(1) اللجأ من لجأ يلجأ لجوءاً ولجأً فهو بمعنى اللُّجوء، انظر: **لسان العرب**، مادة ل ج أ، دار صادر، بيروت، 1/ 152.

(2) في الأصل بدون تاء.

(3) هو شيخه أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي كان شيخه في القاهرة بعد أن ترك شيخه الزيتوني في فاس، والدَّليل على ذلك إرداف زروق للعِبارة «قال لي يوم ودعته..» ومعلوم أنَّه لم يحدث بينه وبين الزيتوني وداع فيه ود ووصيَّة وإنَّما كان طرداً أو اختلافاً فيه حمل كُلّ منهما على الآخر أو موقف لم يفهم فيه كُلّ منهما الآخر.

(4) إشارة إلى حدث عظيم لعلَّه بالنِّسبة للشيخ زروق فقط أو بالنسبة للتصوُّف كله، لم نفهم ما هذا الحدث بالتحديد.

(5) انظر هذا القول مع بعض الفُروق في: **قواعد التصوف**، لأحمد زروق، تصحيح وتنقيح محمد زهري نجار، دار الجيل، بيروت، ص165.

الفصل الثَّاني: في قواعد ما ينكر على القوم وما يستحقه المُنكر من تسليم أو لوم:

اعلم أنَّ جُملة ما ينكر على هذه الطائفة[1] يرجع إلى ثلاثة أشياء:

أوَّلها: [3/أ] ما يقع لهم من العِبارات في بعض العقائد الدِّينيَّة، ممَّا يوهم الحُلول والاتِّحاد، الذي لا يقوله ضُعفاء الصبيان، فكيف ينسب إلى أهل العِلْم والإيمان؟! فوجب تأويله بما تقتضيه قواعد العقائد السنية؛ إذ ليس ثم غيرها، وإنَّما السير والسُّلوك للتحقُّق فيها، فإن لم يجد للتأويل محلاًّ[2] تعيّن التسليمُ للحكم على الكلام بأنَّه كفر أو غيره، وردُّ العِلْم إلى اللَّه في مُعتقَد قائله، لاحتمال الأمر فيه، فقد سُئل شيخنا أبو عبد الله محمد القوري[3] رحمه الله عن ابن العربي الحاتمي[4] فقال: أَعرفُ بكُلّ فن من أهل كُلّ فن، قيل له: ما سألناك عن هذا، قال: اختلف فيه من الكُفْر إلى القبطانية[5]

---

(1) أي: طائفة المُتصوِّفة، واللَّه أعلم. ولعلّ هذا النَّص موجود في **كناش الشيخ زروق** الكناش: صُور من ذكريات الحياة الأُولى لأحمد زروق بقلمه، مع مُقدِّمة وتحقيق علي فهمي خشيم، المنشأة العامَّة للنَّشر، 1979م.

(2) وردت بالأصل محل والصَّواب محلاًّ لأنَّها مفعول.

(3) هو أبو عبد اللَّه محمد بن قاسم اللَّخمي المكناسي أندلسي الأصل فاسي المنشأ. كان مشاركاً في عُلوم كثيرة أهمَّها الفِقه، أخذ عنه تلاميذ عديدون صاروا عُلماء العصر مثل ابن غازي المكناسي والشيخ زروق، انظر: **نيل الابتهاج**، للتنبكتي، ص131، و**توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، لبدر الدين القرافي، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدِّينية، 1425هـ/ 2004م، ص202-204.

(4) هو أبو عبد اللَّه محمد بن علي الطائي الحاتمي مُلقَّب بمحيي الدِّين ويُعرف بابن العربي وابن عربي، كما يعرف -أيضاً- بابن سراقة، أصله من مرسية كما سكن إشبيلية وانتقل إلى الشَّمال الإفريقي فحل ببجايَّة، ومنها انتقل إلى مصر ثم إلى الشام حيث استقر به المقام هُناك حتى توفِّي نحو عام 640هـ، ترك كتباً كثيرة في عُلوم عديدة، ولكنَّها ذات طابع صوفي مُغرق في التصوُّف الذي ردَّه على ابن عربي الكثير من العُلماء وكفَّره من أجله آخرون منهم، انظر ترجمته في: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، لأبي العباس الغبريني، تحقيق عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص156-158.

(5) هكذا وردت والصحيح -واللَّه أعلم- القطبانية، وفي **توشيح الديباج**، ص2004 أنَّ =

[قيل][1]: فما ترجح؟ قال: التسليم، قلت: لأنَّ التكفير مخطر[2]، وترك التكفير في مَحَله غش للشَّريعة، ولا أجهل من مُتعصِّب بالباطل، أو مُنكر لما هو به جاهل، لذلك قال سيدي[3] رضي الله عنه يوماً: «واللَّه إنَّه ليستحقّ الإنكار، لكن ممَّا[4] هو فوقه لا ممَّن هو تحته في النسانس»[5].

قلت: ويجري مجراه في ذلك ابن سعيد الششتري[6] والحرَّالي[7] وابن الفارض[8]

= القوري سُئل عن ابن عربي فقال: «الناس مُختلفون فيه ما بين مُكفِّر ومقطب، والأَولى الوقف».

(1) زيادة يقتضيها السِّياق.

(2) أي: فيه خطر على من يفعله لأنَّ المُكفَّر ربَّما ليس كذلك فيأثم مكفِّره إثماً كبيراً ويوجد أكثر من نص في التحذير من تكفير المسلمين، وجاء في **لسان العرب**: مادة خ ط ر، 4/ 251: «المُخطِر الذي يجعل نفسه خطراً لقرنه فيبارزه». بمعنى أنَّ التكفير يجعل صاحبه هدفاً للمكروه.

(3) هو شيخه أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي كما فهمت.

(4) المحل لمن وليس لما.

(5) الكلمة غير واضحة وقد اجتهدت في قراءتها على هذا الشَّكل؛ أي: هي النسانس جمع مكسر مفرده نسناس، والنسانس هُم الذين يتشبَّهون بالناس وليسوا منهم، والمقصود من الكلمة هُنا الذين يتشبَّهون بالصوفيَّة وليسوا منهم، جاء في **لسان العرب** في شرح الحديث: «ذهب الناس وبقي النسناس: قيل: وما النسناس؟ قال: الذين يتشبهون بالناس وليسوا من الناس» انظر: **لسان العرب**، مادة: ن س س، 6/ 231.

(6) لم أعثر على ترجمته فيما رجعت إليه من مصادر.

(7) هو أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الأندلسي، مرسي الأصل ولد بمراكش وأخذ العِلْم بالأندلس عن أئمة مثل أبي الحسن ابن خروف وهاجر إلى المشرق وتلقَّى العلم عن إمام الحرم أبي عبد الله القرطبي وغيره من العُلماء الذين لقيهم هُناك، كان ورعاً زاهداً صالحاً واستغرق منه تفسير الفاتحة نحو ستة أشهر، له عدَّة كتب في فُنون شَتَّى، أقرأ كتباً عديدة في فنون شَتَّى وكانت بينه وبين العز بن عبد السَّلام مُماحكات، توفِّي بحماة سنة 637هـ انظر: **نفح الطيب**، للمقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/ 1988م، 2/ 187-189.

(8) هو عمر بن علي بن مرشد الحموي أصلاً القاهري نشأة ووطناً ولد بمصر عام 576، ونشأ ببيت علم وورع، وأخذ الحديث، واشتغل بالفِقه الشافعي، وحببت إليه الخلوة والانقطاع، واختلف فيه كما اختلف في أمثاله من القطبانية إلى الكفر، كان شاعر الصوفيَّة في عَصْره، مات بمصر عام 632، وترك ديوان شعر، **الأعلام لخير الدين الزركلي**، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، 5/ 55-56.

والشودي[1] وابن أحلا[2] والعفيف[3] التلمساني والأسود الأقطع[4] وابن سودكين[5] ومن نحا نحوهم، فإن لم يوجد للتسليم محل ولا وجه فالمنكر معذور إنْ لم يدخله هوًى لذلك، قال سيدي رضي الله عنه[6]: «والجاحد مِمَّن يوحى إليه شيء من هذا الكلام وما يفهمه فهو معذور، ومُسَلَّمٌ له حاله من باب العجز والتقصير والسَّلامة، وهو موفر إيمان الخائفين، ومن يفهم شيئاً من ذلك فهو لقُوَّة إيمان معه واتِّساع دائرة وشهود مشهد واسع، سَواء أكان معه نور أو [3/ب] ظلمة بحسب ما في القوالب من الودائع الموضوعة على أي نوع كانت» اهـ.

الثاني: الأعمال، وقد عد الششتري رحمه اللَّه منها نحو تسعين أمراً في

---

(1) هو أبو عبد الله الشوذي الحلوي، وهو فقيه أندلسي مرسي تُنسب إليه الطريقة الصوفيَّة المُسمَّاة بالشوذيَّة، دُفن بتلمسان، انظر: **نفح الطيب**، 5/ 260-261.

(2) هو أبو عبد اللَّه بن أحلى كان بلورقة بالأندلس ذكره ابن الخطيب ضِمن أصحاب مذهب الحلول أو «أهل الوحدة المُطلقة من المُتوغِّلين» كابن سبعين وأبي الحسن الششتري والشوذي، وَوَرَد ذكر كتبه في قصيدة نونية للفقيه عمر الزجَّال يُخاطب فيها السلطان المريني، انظر: **روضة التعريف بالحب الشريف**، لابن الخطيب، مُعارضة وتعليق محمد الكتَّاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2/ 604، **نفح الطيب**، 5/ 45.

(3) هو أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني يُكنَّى بأبي العباس وبابن أبي حجلة، ويُلقَّب بشهاب الدِّين من أهل تلمسان بالجزائر رحل إلى المشرق فأقام بمصر والشام وتوفِّي في الأولى بالطاعون عام 776، كان شاعراً عالماً صوفيّاً فقيهاً حنفيّاً ضد فرقة القائلين بالوحدة وخصوصاً ابن الفارض، ترك عدة مؤلفات بلغت ثمانين عنواناً، انظر: **الأعلام**، لخير الدين الزركلي، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، 1/ 268-269.

(4) جاء في **التشوف إلى رجال التصوف**، لابن الزيات، ص113، ترجمة الملقب بالأسود وهو أبو محمد خميس بن أبي زرج الرجراجي الأسود، من بلاد رجراجة كما أورد ابن الزيات تراجم لأعلام عديدين مُلقَّبين بالأسود، انظر: ص193، 232، 234، 237، 268-269، 278، 282، 305، 313، 343، 347، 363، 359، 381، 397، 403، 413-414، وغيرها كثير.

(5) هو أبو طاهر إسماعيل بن سودكين بن عبد اللَّه النوري كان صاحباً لابن عربي، وصفه بروكلمان بالزاهد الشيخ، ولد في القاهرة عام 588 وتوفِّي عام 646 في حلب، انظر: **تاريخ الأدب العربي**، لكارل بروكلمان، تُرجم بإشراف محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، 1993، القسم الرابع، 7-8، ص417.

(6) أي: أبو عبد اللَّه محمد القوري.

كتاب أسماه الرسالة العِلْميَّة[1]، وأجاب عن جميعها بالآي والأحاديث النبويَّة والقياسات الجليَّة وغير الجليَّة، إلَّا أنَّ في بعضها التساهل، وبعضها لا ينبغي أنْ يعول عليه للخطر فيه ولضعف أدلته[2]، وأهمُّها السَّماع، وللنَّاس فيه ثلاثة مذاهب؛ المنع لمالك وغيره، سدّاً للذريعة وحسماً لأبواب الفسْق وغيره، الثَّاني الجَواز؛ إذ لا نص بالمنع من الشَّارع فأشبه الأشياء قبل ورود الشرع فيها، وأنَّ الأصل في ذلك الإباحة حتى يأتي ما يحرم، الثَّالث: الجواز؛ إنْ كانت أصواتاً مُجرَّدة عن تلاحين الفَسَقة، وآلة الطَّرب وأعماله، عملاً على ما ورد في حديث الحبش وجابر بن عبد اللَّه والجاريتين اللَّتين كانتا تغنيا [ن] عند عائشة في العيد، وحديث يوم بعاث[3]، وارتجاز الصَّحابة في الغزوات ويوم الخندق، وأنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يرد عليهم: (رجز)

اللهمّ لا عيش إلا عيش الآخرة[4]

.....

إلى غير ذلك من الأحاديث، وربَّما ضعف الاستدلال بذلك لاختصاصه بما وقع فيه؛ إذ صُورته ووقته دالّ عليه، لكنّه لا يمنع وجود الدَّلالة لما ذكر لاحتماله العُموم، وإن كان مرجوحاً، والسَّلام.

---

(1) اختصرها ابن ليون في كتاب عُنوانه: «الإبانة العِلْميَّة من الرسالة العِلْميَّة» انظر: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لابن الخطيب، تحقيق محمد عبد اللَّه عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1397/ 1977، 4/ 205. وانظر: تقديم تحقيق **لمح السحر**، ص61.

(2) واضح هنا اعتراض زروق على بعض آراء شيخه الششتري.

(3) نص الحديث في **صحيح البخاري**، ط1، دار الكتب العِلْميَّة، بيروت، 1/ 287: (عن عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تُغنِّيان بغناء بعاث فاضطجع على الفِراش وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ! فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دعهما. فلما غفل غمزتهما فخرجتا)، وانظر: **رسائل ابن حزم**، رسالة في الغناء الملهي أَحَرام أم مُباح، ص428.

(4) في **صحيح البخاري**، ط1، دار الكتب العِلْميَّة، بيروت، 1412هـ/ 1992م، 5/ 54: «خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يَعْملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النّصب والجُوع قال:

اللَّهمّ إنّ العيشَ عيشُ الآخرهْ فاغفر للأنصار والمهاجرهْ

وليس ثم ما يدلّ على جواز التصفيق بظهر الكف ولا بطنه، ولا على المرفق الرقص والتقافز والصّياح ونحوه، فأمّا الذكر جماعة فأحاديثه معلومة في الصِّحاح، ولا يعدل بها عن الظاهر إلَّا لدليل، وعند الاحتمال يسقط ما بيد القائل، ويَبْقى الأصل، ولا يلزم من عَدَم عَمَل الصَّحابة بما ذكر إنكاره، لأنَّهم إنَّما [4/أ] تركوه لاشتغالهم بما هو أفضل منه من الجهاد والذِّكر الخفي، بل وقع لهم الجَهْر بالذِّكر في مواضع؛ كالعيد وبعد الصَّلوات وفي الأسفار والغزوات، حتى قال لهم ﷺ: يا أيَّها الناس أربعوا[1] على أنفسكم فإنَّكم لا تدعون أصماً[2] ولا غائباً، إنَّما تدعون سميعاً بصيراً حاضراً معكم[3]، فلزم في ذكر الجهر التوسُّط والسكينة، لا ما يفهمه من قلَّ بره، من الصِّياح الذي لو نادى به مخلوقاً مثله كان إساءة أدب في حقِّه، فكيف بربِّ العالمين؟!.

الثَّالث - الدعاوى، وأمرها دائر بين ثلاثة أحوال، أحدها: أن تكون قادحة في أصل الشريعة؛ كالطَّعن في الأنبياء والعُلماء والصَّحابة المُقَرّ لهم بالفضل؛ فهذه لا يسمح فيها، ولا يُسَلَّمُ لصاحبها، وهو فيها زنديق أو فاسق أو مجنون أو معتوه، الثَّاني: خرم قاعدة من القواعد الشرعيَّة كترك الصَّلاة وأفعال الكبائر المُنكرة، ولا يخلو إمَّا أنْ يكون في ذلك عن ذهاب عقل فيسلم لصاحبها لأنَّه في حُكم المَجْنون، هذا إن كانت ممَّا لا يُباح بوجه، فإنْ كانت ممَّا يُباح بوجه كالقتل سلم له في إقامة الحقّ الشَّرعي عليه، والإدمان في الكبائر مع وجود العقل فسق مطلقاً، الثَّالثة: أنْ تكون معها أُمور دالَّة على الصَّلاح والدِّيانة، وهي اتِّباع السُّنة، والإنكار في هذا المحل لا وجه له إلَّا من حيث استثقال[4] الطِّباع، وإظهار الخصائص، وأمره في ذلك إلى اللَّه تعالى،

(1) أربعوا على أنفسكم؛ أي: أرفقوا بأنفسكم، انظر: مادة ربع، **لسان العرب**، دار صادر، 8/ 110.

(2) هكذا وردت في الأصل والصحيح - كما هي في البخاري- بدون ألف لأنَّه اسم ممنوع من الصَّرف وربع على نفسه وأربع كف ورفق، **لسان العرب**، ر.ب.ع، 8/ 110.

(3) في **صحيح البخاري**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/ 1992م، 3-4/ 338 «... فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنَّه معكم، إنَّه سميع قريب».

(4) في الأصل الاستثقال بالألف واللَّام ولا يصح مع الإضافة لما بعده.

وبالجُملة فكُل يسلم له، ولا يُقتدى به غير الأخير؛ فإنَّه يُقتدى به في غير الدَّعاوى، فإنَّ مبنى الطريق على التسليم والتصريف ورأس مال الفقير حسن ظنَّه باللَّه تعالى وعِباده، إلَّا أنْ يتعيَّن عليه حقّ شرعي، فالقائم به مأجور، والمُنتصر بالله منصور، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

الفصل الثَّالث: في آداب السَّماع وما يؤدي [4/ب] إليه من انحطاط وارتفاع[2]:

اعلم أنَّ آداب السَّماع دائرة على ثلاثة: أوَّلها الزمان، وهو على ثلاثة: عام، وخاص، وخاص الخاص؛ فالعام: الفُصول الأربعة، وأفضلها زمن الربيع؛ لأنَّه يقوِّي الأرواح، وأفضله آخره، لتكامل القِوَى الطبيعيَّة فيه، وأحسن ما ذكر فيه مُقويات الحُبّ والعشق الجملي؛ فإنَّ التفصيلي يميل بصاحبه نحو ما وقع عليه، وفيه خَطر، والجملي هو ما أثار[3] الضمير بالأصل، واللَّه أعلم.

ومن الأذكار ما يكون جمليّاً، ثم الخريف؛ لأنَّه يبيت السوداء التي بها تحقيق ما يقع من الأرواح، وأفضله آخره، وأحسن ما يذكر فيه ما يُحرّك للعمل والجَدّ ونحوه، ثم الشتاء؛ لأنَّه بيت البلغم ومحلّ السُّكون الذي هو وجود التَّقوى، وأفضله آخره، وأفضل ما يذكر فيه الموجبات المُحرَّكة للهمم، المُشوّقة للمنازل العليَّة، ثم الصيف؛ لأنَّه بيت الصفراء، وأفضل ما يذكر فيه مُهيِّجات الخَوْف؛ لأنَّه بارد، فيقع الاعتدال.

ويُراعى في كُلّ زمان أهله ومحلّه، وأمَّا الزمان الخاصّ به فخيره اللَّيل [كلّه] والإخلاص فيه، ولجماح النَّفس فيه عن التشوُّفات، ثم كُلّ وقت يقع

(1) سورة آل عمران، الآية: 101.

(2) قال الدكتور علي فهمي خشيم: إنَّ زروق كتب عن السَّماع في أمكنة كثيرة من كُتبه، انظر: **أحمد زروق والزروقية**، ط3، دار المدار الإسلامي، بيروت، سبتمبر، 2002، ص116.

(3) في المخطوط أشار، والصواب ما أثبت.

فيه للنفس حال بقدره، إنْ لم يخلَّ بإقامة حقّ الوقت في فرض أو سنَّة أو مُستحب، كنقص التراويح، أو نقصها في رمضان[1]، أو عدم الصَّلاة في الجماعة، أو التثاقل في صَلاة الصُّبح والاقتصار فيها على دون الكمال اللَّائق بالشخص؛ فإنَّ ذلك ربَّما كان محرماً؛ لأنَّ إكمال الفرض مطلوب شرعاً، وهذا أمر مُختلف فيه، وعلى إباحته فصُورته صُورة باطل.

وأمَّا الزمان الأخصّ فوسط اللَّيل حيث تهدأ النفوس، ويذهب التعب، وينبغي أنْ ينام آخر اللَّيل ليكون عوناً على صلاة الصُّبح، ووِرْد أوَّل النهار، وفيه تنزل السكينة وموافقة أحكام الوقت، واللَّه أعلم.

وأمَّا المكان فشرطه ثلاثة: أنْ يكون بعيداً من النَّاس، لئلا يَضُر ولا يُضَر، وأنْ يكون في ذاته فسيحاً، في توسُّط وانشراح [5/أ] لئلا يفرق الذهن ولا تنقبض الطبيعة، وأن يكون غير مُحترم بحُرمة الشارع، كالمساجد المُفضلة عن[2] الزوايا ونحوها.

وأمَّا الإخوان فَعَلَى ثلاثة أقسام: صادقون ومُحبُّون ومُنتسبون؛ فالحُضور مع الصادقين غنيمة، ومع المُحبِّين كرامة؛ إذ يُرجى من بركة مُحبِّيهم مثل ما يرجى من محبَّة اللَّه، والمُنتسبون قسمان: مُنتسب لا يخل بالأدب ولا يُخالف الشَّريعة في أمره، بل يكون على حُكم القوم متى حَضَر، فهذا لا بأس بحُضوره، ومُنتسب يخلّ بآداب المَجْلس ولا يُراعي الشَّرع ولا يحترم الجماعة؛ ربَّما آذاهم بكثرة انحرافه من الصِّياح والتواجد الموجب للمالخونيا [مانغوليا] وتغطية العقل، حتى يظنه حالاً من لا حقيقة عنده، أو يكثر الدُّعاء والتجادي على القوم، أو يخرج عنهم عند دخول الطَّابق، أو يُحرف على القوال، ويُفسد على المُنشد برد لحن لا يخلّ بالمعنى المُبين المؤدي إلى حُضور، أو يتحدَّث بما يقع للقوم من الحالة الحَسَنة أو الخارجة عن

(1) لعلَّه يقصد بالنَّقص الأوَّل أنْ تكون موجودة في كُلّ ليالي الشهر ولكنَّها قليلة الركعات في كُلّ الشهر أو بعضه، أمَّا النَّقص الثاني فهو انعدامها من بعض اللَّيالي ووجودها في بعضها الآخر.

(2) المكان يفترض أنَّه لحرف الجر على وليس عن.

الاعتدال، أو يدخل عليهم العوائد المُشوشة حال السَّماع؛ كالحديث مع جليسه، وشُرب الماء، والنَّظر إلى الجماعة استقصاء لأحوالهم، أو يثني على من لم تدع الضرورة للثناء عليه، أو مُذاكرة كافر الوقت وغيرهم من أهل الدُّنيا، أو يأتي بذكر العوائد التي لا حاجة له إليها كالأراجيف، وأخبار الأُمراء وغيرها، أو يُدخل على الجماعة ما يُظلم قُلوبهم من ذكر ما لا يعتقدونه أو الاشتغال[1]، أو يقترح على الجماعة والقوال فيما لا يُريدون من ذكر أو غيره، أو ينكر عليهم ما هُم فيه أو ينتقصهم فيه، أو يُريد أنْ يتبع فيما يأتي به من ذلك، فهذا ومن شابهه ينبغي التجافي عنه وإبعاده، فإنْ لم يمكن فترك الحُضور رأساً أَوْلى بالجماعة.

ومن آداب السَّماع أنْ يكون له شيخ يُرتبه، ونقيب يُخاطبه الشيخ في ترتيب القوم وأعمالهم، وما يرجع إلى مصالحهم ويُعلِّمهم [5/ب] كيفيَّة الخِدْمة وآداب المجلس، وقوال ترجع الجَماعة لابتدائه وانتهائه، لئلا يقع الاختلال؛ فإنْ كان في جماعة قوالون فينبغي ترتيبهم حَسب ما رآه الشيخ؛ كُلّ بنوبته، لئلا يقع الاختلال، وينبغي أنْ يكون السَّماع مصحوباً[2] بالذِّكر ويكون أحدهما أغلب ليفيد معنى الذِّكر المُناسب له، وتستريح الجماعة من تعب الأذكار بالسَّماع؛ ليكونوا في ذلك مُتراسلين لينتفع القائل بالقائل، وإلَّا فهو رُتبة بلا طائل، ويكون جماعة أكثر من أُخرى ليقع الإجماع والتأثير، وينبغي إذا كان معهم غيرهم أن يخرجوه من الحلقة، ولا يدخلوه في الطابق، ولا يكثروا في الكلام الواحد فيمل، ولا يقتصروا فلا ينتفع به، ويعينوا صاحب الحال بالزيادة والانتقال، فإنْ خافوا عليه الانقطاع فلينقلوا لذكر النبي عليه الصَّلاة والسَّلام من الطَّبع الذي هو فيه.

(1) ربَّما يقتضي السِّياق إضافة جار ومجرور [به].

(2) في المتن وردت مصحوباً إلا أنَّه في الهامش جعلها مضروجاً، ولعلَّ ما في المتن هو الصحيح أو الأصحّ.

وينبغي أن يبتدئوا بالقرآن ويختموا به، ولا يقرؤونه إلَّا معظَّماً بالإنشاد والتلحين، وما أشبه ذلك، وألا يكثر الحاضرون فيكثر التخليط، ولو بالأنفاس والاختلافات، ولا يقلُّوا فلا تحصل الفائدة، بل الصَّواب ألَّا ينقصوا عن السبعة ولا يزيدوا على الاثني[1] عشر ونحوها، وقد جرب، ويجب ألَّا يحضروا معهم النِّساء والأحداث، ومن تهتز نفسه بالسَّماع إلى ما لا خير فيه؛ فإنَّ[2] ذلك حرام، وإنْ أمنت الفتنة للاحتمال واتِّساع المقال، ولئن أمنت فتنة الأشخاص فلا تؤمن في الأصوات، وينبغي أنْ يكون لهم ذواق لا[3] يعتمدونه، ويكون اجتماعهم عليه نصب النُّفوس ووجود الأُلفة، ويكون اجتماعهم غير مَعْلوم الوقت ولا مَحْصوراً بنوع.

وآداب السَّماع كثيرة، والعاقل مُشفق على دينه، وغاية المذهب الرُّخصة إذا اتَّفقت الشُّروط، وإلَّا فالمنع، واللَّه أعلم.

وفائدة السَّماع اختبار الباطن في أحواله؛ فإنَّه مُحرِّك لما فيه لا جالب له، فإنْ [6/أ] ظهر أثر تعيَّن تقويَتُه أو تنحيَتُه أو غير ذلك من أحكامه، وقال المُحقِّقون: السَّماع من محامد النَّفس لأنَّه من بساطة الشِّعر، والشِّعر من القِوَى النفسانيَّة، والنفساني لا يُفيد إلا تقوية النفس؛ لأنَّه الأصل وواجب الوقت لعارض الفتنة كما يأتي بعد إنْ شاء اللَّه تعالى.

ولمَّا كان أصل الحقّ القُرآن كان هادياً للخلق، لكن نفوس أكثر البطالين لا تقبل الحقّ إلَّا بصُورةٍ من الباطل، فَعَمِلَ المشايخُ السَّماع إفادةً لهم بالأحوال واستئلافاً[4]، وقد يكون الحامل لبعض المشايخ عليه الرفق بأجسامهم عند قُوَّة الوارد؛ لئلا تهتك بما يُلاقيها من صَدْمة الحقائق، كما اتَّفق لكثير منهم،

(1) في المخطوط وردت الاثنا عشر.
(2) «فإن» لم ترد بالمتن وإنَّما وردت بالهامش.
(3) ربَّما لا النافية زائدة والصَّواب بدونها، ولعل صحة العبارة ذوّاق لا يتعدّونه.
(4) أي: من طلب التأليف والأُلفة.

ومُستندهم في ذلك الحديث كلِّميني يا عائشة[1]، وما يريدون ظُهور ما عندهم حتى يقووه بأسبابه من عِلْم أو عمل أو ذكر أو غيره، فهو نزول كُلّه بلا صُعود البتة.

وأمَّا الوجد فإن كان موجبه الأوزان الطبيعيَّة فعاديّ، وعلامته أنَّ الأوزان إذا بطلت لا يتأثَّر به، وإنْ كان موجبه المعنى فتحقيقي، وعلامته أن يستوي في التأثُّر به وزناً ومَعْنى، ويكون مَعْناه من القرآن أفعل فيه، وإنْ كان موجبه الحَرَكات فشيطاني، ولهذا أنكر المشايخ الحَرَكات في السَّماع، وقالوا مَنْ فَعَله لا يُكاشف بشيء، وعَلَامة الغلبة الطبيعيَّة أنْ يجري في نفسه قوة نفسانيَّة، حتى لو حُمِّل جبلاً لحمله، ولا يكسل بعد ذلك، وعَلَامة الغَلَبة الحقيقيَّة أنْ يستفيد عِلْماً في غيبته أو حالاته، يقع أثره فيه أو في سَماعه إنْ أُعطي الترجمة عنه؛ بحيث يدعو إلى توبة السامع ونحوها، وعَلَامة الغلبة الشيطانيَّة أنْ يجد تكسُّراً في أعضائه وحَرَارة، مع عَدَم إفادة عِلْم، بل يكون في غيبته كَمن أُلقي عليه ثوب لا يدري ما هو وما فيه، وهذا باب واسع الخوف، ونعوذ بالله [6/ب] من شرِّه، وقد قال الشيخ أبو العباس[2] ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾[3]: من كان من فقراء هذا الزمان مؤثراً للسَّماع، آكلاً لأموال الظلمة، فيه نزعة يهوديَّة، والأولى في هذا الزمان سدّ هذا الباب، ولكن الأمر للَّه، والعاقل من أشفق على دينه، واتَّبع الحقّ بعد بيانه، فإنْ لم يقدر على الترك فليتقِّ الإكثار، واللَّه المسؤول في العافية لنا ولكم مَعْشر الإخوان[4]، وهو حَسبنا ونعم الوكيل.

(1) في **طبقات الشافعية الكبرى**، 6/ 336 «كان ﷺ يضرب فخذ عائشة أحياناً ويقول: كلِّميني يا عائشة» وقد أورد الحديث أيضاً الغزالي في **إحياء علوم الدين**، 3/ 125.

(2) هو أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي.

(3) سورة المائدة، الآية: 44.

(4) وردت في الأصل الأخوال وهو ما لا وجه له.

التعريف والإعلام لشيخ قصد فيه الكلام:

وهو الشيخ العارف الشهير أبو الحسن علي الشِّشتري[1]، أحد الصُّوفيَّة والطبقات الأندلسيَّة، كان من أبناء المُلوك، ثم صار من سادات الفُقراء، وكان يُقرأ عليه القرآن والسُّنن، عارف بالحديث، ورسالته العِلْميَّة[2] دالَّة على ذلك، فأمَّا عِلْم الأسرار والأنوار والحكم والأذواق فقد حاز فيه قَصْب السَّبق، وكتبه دائرة على تحقيق العِلْم، وفي ذلك دليل لمن اعتبره، ونسبة ذلك إلى شِشتري الأندلس لا العراق، فإنَّهما اثنان[3]، قرية بالعراق، والأُخرى بالأندلس، وهي بمعجمتين بمُثناة فوقية فراء، دخل بجاية وأقام بها مُدَّة، وكذلك شيخه عبد الحق ابن سبعين، وهُما ممَّن تُكلم فيه كما مرَّ[4]، رحم اللَّه الجميع بمنِّه، وتوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ بالطِّينة من قُرب ذمياط من عَمَالة القُدس وقُربه، وقال له أصحابه قبل موته: مَنْ الفقير؟ قال: الذي يمشي بعد موته ثمانية عشر ميلاً، وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ثمان وستين وستمائة.

وقد استحسن مُقطَّعاته جماعة من أهل الفضل كابن عباد[5] وغيره،

---

(1) انظر ترجمته في: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، لأبي العباس الغبريني، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص239-242، و**الإحاطة في أخبار غرناطة**، لابن الخطيب، تحقيق محمد عنان، 4/ 205-216، و**نفح الطيب**، للمقري، 2/ 185-187، و**نيل الابتهاج بتطريز الديباج** للتنبكتي، عِناية الدكتور عبد الحميد الهرامة، ط2، دار الكاتب، طرابلس، 2000، ص321-323، وقد ضبط مُحقِّق الإحاطة النِّسبة؛ أي: الششتري بكسر الشين الأُولى وتسكين الثَّانية وفتح التاء، في حين ضبطها مُحقِّق النفح بضمِّ الشين الأُولى وأنا أُرجِّح الضبط الأوَّل؛ لأنَّه الأقرب إلى اسم القرية التي يُرجح عنان أنَّها المنسوب إليها الششتري؛ أي: شارشس Charches في اللُّغة الإسبانيَّة، ثم إنَّ ذلك الضبط المُختار من قبل عنان يتفق مع اللَّهجة اللِّيبية الموجودة اليوم في طريقة أو مظهر ينسب إلى الششتري فيقال فيه: ششتري، بكسر الشين الأُولى وسكون الثانية وكسر التاء، ونحن نعلم أنَّ الششتري قد بقي فترة بطرابلس فلعلَّ ما حافظت عليه لهجة أهلها يكون صحيحاً أو أقرب إلى الصِّحَّة.

(2) لعلَّه يقصد الرسالة التي تحمل هذا العُنوان نفسه وقد سبق أنْ ذكرها زروق، انظر: ص5.

(3) هكذا في المخطوط والصَّواب أن يقال: اثنتان لأنَّهما قريتان.

(4) في صفحة 5-6.

(5) هو أبو عبد اللَّه محمد بن إبراهيم بن عبد اللَّه بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك =

ووجد بالخاصِّيَّة أنَّها محفوظة من الفَسقة أنْ يحفظوها، بل يذكروها في فسقهم، ومن ذكرها كذلك أصابه بلاء يدفع فيه إلى قطع رقبته والعِياذ [7/أ] باللَّه[1].

ومُقطَّعاته مُحتوية على ثلاثة معان؛ التغزُّل وهو أقل ما فيها، والسُّلوك وهو مُستوفى في بعضها، والفناء وأحكامه، وإليه إشارة كُلّها لا يَخْفى على من خالطه تأثيرها بذلك فيه؛ لا سيَّما مع وجود التوجُّه وزمن الربيع، وقد نَسَج النَّاس على مِنوالها كثيراً فما أبرقوا ولا أرعدوا، وباللَّه ما قاموا ولا قعدوا إلَّا من قلَّ ونَدَر، لأنَّهم إنْ أصابوا علماً أخطأوا حالاً، وبالعكس، ونسب الناس إليه مِمَّن[2] ليس له كثيراً، وجُملة ما يوجد في النَّسخ المنسوبة إليه نحو السَّبعين مُقطَّعة[3] سنتكلَّم على ما يحتاج إلى الكلام حَسب الوسع والفَهم والتيسير، ومن اللَّه أسأل العافية في كُلّ الأُمور، وهو حَسبنا ونَعْم الوكيل، فأوَّل ذلك:

= ابن إبراهيم بن يحيى بن عباد، ينتسب إلى قبيلة نفزة ومشهور بابن عباد من كبار صوفيَّة المغرب ذو أُصول أندلسيَّة تمتّ به إلى مدينة رندة الشهيرة، حيث ولد بها عام 733هـ ونشا بها وانتقل إلى فاس وتلمسان وسلا ثم فاس حيث بقي خطيباً بجامع القرويين مُدّة خمسة عشر عاماً توفِّي بعدها في رجب عام 792هـ ترك عطاء علميّاً معروفاً في التصوُّف من أشهره شرحه للحكم العطائيَّة، كانت بينه وبين عُلماء عَصْره اتصالات ورسائل مُتبادلة مثل أبي زكرياء السراج حيث عرفت له هذه الرسائل بالرسائل الكُبرى والصُّغرى، كما ترك نظماً في ثمانمائة بيت. (انظر ترجمته في: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، لأحمد بابا التنبكتي، عناية وتقديم د. عبد الحميد الهرامة، ط2، دار الكاتب، طرابلس، 2000م، ص472-476، و**الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس** المنسوب إلى أبي عبد اللَّه محمد بن عيشون الشراط، دراسة وتحقيق زهراء النظام، كُلِّيَّة الآداب والعُلوم الإنسانيَّة بالرباط، جامعة محمد الخامس المغرب، 1997، ص195- 204)، وغير هذا من الذين شرحوها أمثال الغرناطي.

(1) من بداية التعريف إلى هُنا نقله التنبكتي عن هذا الكتاب، انظر: **نيل الابتهاج**، ص321-322.

(2) هكذا ورد في المخطوط، ولكن يبدو أنَّ المكان لما وليس لمن.

(3) من بداية ترجمة الششتري إلى هُنا نقله أحمد بابا التنبكتي لترجمة الششتري، انظر: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، عِناية وتقديم الدكتور عبد الحميد الهرامة، ط2، دار الكاتب، طرابلس، 2000، ص321-322.

[المُقطَّعة الأُولى]

تَرى كل لجسمكْ كشف الغطايْ

فافنَ ودَعْ صبورْ تبقى حيْ

واللَّه المُستعان، إنَّ الحِجاب الأعظم عن إدراك الحقائق هو الاشتغال بِمَا يؤول أمره لإصلاح الجِسْم من أكل وشُرب وجِماع وغير ذلك من العوائد، وما هذه الأُمور والتعلُّق بها للقُلوب إلَّا كالصدأ للمرآة؛ ما دام عليها فهي في غِطاء لا تُظهر مَحَاسنَها، ولا تظهر فيها المحاسنُ؛ فإذا أعرض العبد عن الاشتغال بعالم جِنْسه طلباً للمعاني، وتوجّه للحقّ بترك ما سِواه فقد أفنى حُظوظ نفسه في حُقوق اللَّه؛ بحيث لا يطلب شيئاً من الجِسْمانية إلا من حيث أمره اللَّه، لا بحال من أحوال نفسه، انكشف الغطاء عن قَلْبه؛ وهو حُبه لنفسه وعمله لها في حُظوظه، لذلك قال سيدي ابن عباد رضي اللَّه تعالى عنه: «إنَّما حجب الخلق عن اللَّه تعالى تدبيرهم لأنفسهم، وعملهم على الحظ الذي يعمل لا للحيط عليه تصب الحظوظ» أهـ.

ثم المشغول بعالم جِسْمه كأن روحه مغيورة فيه؛ إذ لا حركة لها معه، فإذا خرج لعالم المعاني صار القلب حيّاً، وعَلَامة حياته [7/ب] استحسان الحَسَن واستقباح القبيح؛ لأنَّ حقيقة الحياة الإحساس بالأشياء، والميت لا يحس بشيء، وإنَّما يموت القلب بالشَّفقة على النَّفس والرضا عنها، وهو الموجب للإكباب[1] على عالم الجسم.

قوله:

يَشغلكْ عن ذاتكْ

يعني أنَّ عالم الجسم هو الذي يشغلك عن ذاتك؛ أي: عن حقيقتك المعنويَّة فتبقى مع بطنك وفرجك، وإنَّما جعل الذات الحقيقة المعنويَّة التي

(1) في المعجم: أكبَّ الرجل يُكب إكباباً إذا ما نكَّس، **لسان العرب**، مادة: ك ب ب، 1/ 696.

هي الروح، يقول الشاعر[1]: [البسيط]

..... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

لأنَّ الجِسم من سائر الجَمادات لولا الروح، وبرهان ذلك فناؤه وذهاب أجزائه وتشابهها بأجزاء الأرض.

وقوله:

«وتَنحجِبْ»

يعني عن المعاني بالجِسْمانيَّات [...][2] بنظرك إلى غير ما يوصلك ويهديك إلى مَعْرفته الذي هو عالم المعاني، وهذا مثل قول ابن عطاء اللَّه رضي الله عنه: «الكائن في الكَوْن ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمُحيطاته، مَحْصور في هيكل ذاته» اهـ [3].

وقوله:

«ويجعلْ أوقاتكْ كُلّها شغبْ»

معناه أنَّ الاشتغال بعالم الجِسْم يؤدي إلى تشغب، فإنَّ أغراضه مُفترقة،

---

(1) الرواية في **ديوان أبي الفتح البستي** ضِمن بيتين:

يا خادم الجسم كم تَشْقى بخدمته لتطلب الربح في ما فيه خسران

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وقد علَّق مُحقِّق الديوان بأنَّ البيتين يتَّفقان وزناً وقافية ومعنى عامّاً مع القصيدة النونية التي مطلعها:

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران

بل ذهب إلى أن بعضهم يروي البيتين ضِمن هذه النونيَّة المشهورة، انظر: **ديوان أبي الفتح البستي**، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مَجْمع اللُّغة العربيَّة، بدمشق، 1410هـ/ 1989م، ص183، 187.

(2) بياض بالأصل بمقدار كلمة.

(3) **الحكم العطائية بشرح الشيخ أحمد زروق**، تحقيق ودراسة رمضان البدري، ط3، دار الكتب العِلْميَّة، بيروت، 1429هـ/ 2008م، ص215.

وشهواته مُتشتِّتة، وكمالاته لا تنحصر، وقد قال سيدي رضي الله عنه[1]: «من عرف اللَّه عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والأحمق يغدو ويروح في لاش، والعاقل عن عُيوبه فتاش» اهـ.

وقوله:

«**فاصقُلْ لمرآتكْ**[2] ترى عَجَبْها»

قد تقدَّم أنَّ القَلْب مِرآة صدؤها التعلُّق بعالم الجِسْم، وصقلها في ترك التهمُّم به، إلا من حيث أمر اللَّه بما أمر، وقد قال ابن عطاء اللَّه رضي الله عنه: «كيف يشرق قلب صُور الأكوان مُنطبعة في مِرآته»[3] وإنَّما الصقل بإزالة العُيوب والتبرؤ من الذنوب، وليس ذلك إلَّا بدوام الاستغفار ودوام إظهار الفاقة والافتقار [8/أ] فإذا فعلت ذلك أيُّها العَبْد ترى عجباً، وهو ظهور عالم القُدرة، ونُفوذ الكلمة، واتِّضاح العوالم بِحَسب العارضة وقوَّة القابليَّة التركيبيَّة، والحاصل في إشارته بقوله:

«**يريك أيسرها ثَمَّ صَقلُ المرا**»

أي: كل ما في الوجود تراه إذ ذاك؛ لما حَصَل لك صقل المِرآة فإنَّك مِرآة الوجود، بمعنى تظهر فيك إشارة حتى كأنَّك هو، ويقع بينك وبين كُلّ عالم نِسبة أوجبها تَجَلِّيه لك علماً وصُورة وتحقّقاً، حتى كأنك ممَّا منك لكن لا حقيقة لها فيك، كما لا حقيقة لما بيد المرآة من مُقابلها، وعن هذا عبَّر بعضهم بأنَّ الآدمي نُسْخة العالم واشتغل بمُقابلة النُّسختين[4]، فافهم.

قوله:

---

(1) هو ابن عباد كما يفهم من السِّياق.
(2) هكذا هي في الأصل ولعلَّ الصَّواب مرآتك دون حرف الجر.
(3) **الحكم العطائية بشرح أحمد زروق**، ص31.
(4) وإلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله:

وتـزعـم أنـك جـرم صـغـيـر وفـيـك انـطـوى الـعـالـم الأكـبـر

«من في القبا يرجعْ صَحْبِ الجَنا»

يعني أنَّه من حصل له هذا التجلِّي اتَّسعت عليه الأُمور وصار سائراً في الكون كُلّه، غير مُقيَّد بوجود؛ لرؤية كُلّ موجود مثله في صِفَة النَّفس، ويرى الكُلّ بعين الحقّ؛ إذ يرى الكُلّ من عين جُوده فيترك التدبير لعالم جِسْمه، ويتَّسع نظره في هِمَمه وعَزْمه؛ فيكون راضياً عن مولاه، متوجِّهاً لبابه يتولَّاه، قال عبد الواحد بن زيد[1] ﷺ: «الرضا باب اللَّه الأعظم، ومُستراح العابدين، وجنَّة الدنيا»[2] اهـ، والقَبَاء بفتح القاف ثم الموحدة والمد قميص ضيق جدّاً،[3] والجناء[4] معلوم، وبينهما في الوسع والضِّيق لما[5] بينهما وهنا اهـ كلام التحضيض والتحريض والتنفير والتحذير.

ثم توجَّه بالسُّلوك فقال:

«خُذِ الوجودْ كلا»

يعني الأكوان كُلّها:

«يا ذا الخليعْ»

---

(1) هو عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة البصري من الطبقة السَّادسة من التابعين، وصفه الذهبي بأنَّه زاهد قُدوة توفِّي بعد الخمسين ومائة، وقيل: بقي حتى سبع وسبعين ومائة من هجرة الرسول ﷺ، انظر: **وفيات سير أعلام النبلاء**، لأبي عبد اللَّه محمد بن أحمد الذهبي، تهذيب خليل بن مأمون شيحا، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1428هـ/ 2007م، ص661.

(2) لم أجد تخريجاً لهذا القول وإنَّما وجدت شيئاً يتَّصل منه بسبب حيث نسب الزمخشري (**ربيع الأبرار**، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1412هـ/ 1992م، 5/ 329) إلى عبد الواحد بن زيد هذا قوله: «ما أحسب شيئاً من الأعمال يتقدَّم الصَّبر إلا الرضا، ولا أعلم درجة أرفع من الرضا وهو رأس المحبة».

(3) في **لسان العرب**، مادة: ق ب ى؛ 14/ 168: «القَباء -ممدود- من الثياب».

(4) لعلّ الجنا هُنا هو المقصور: الجنى بمعنى من يجني شيئاً، ويكون الجني عادة في الثمار ما لم تيبس، **لسان العرب**، مادة: ج ن ى، 14/ 156. الظاهر أنَّ الجنا ثوب واسع، ولا عَلاقة لجني الثمار بهذا المعنى هُنا. يرجع إلى **معجم دوزي** الذي استدرك فيه على المعاجم العربيَّة بعض ما اختص به عرب الأندلس من مُصطلحات.

(5) لعلَّ الصحيح بدون لام: ما بينهما.

يعني أيَّها الشخص المُتوجِّه لقصده من غير احتشام، وقوله:

«عُلوّ مع سُفلي رُد الجميعْ»

أي: اجمع العلو مع السُّفلي مع ذلك

«وسم ذا الجمَلا»

أي: جُملة الكَوْن سمِّها عند رؤيتها عيناً واحدة في الحُكم [8/ب]

«عن شارة فيها»

أي: محلّاً لظُهور الأسماء والصِّفات؛ إذ لا وجود لها إلَّا بها، وهو معنى الاستواء[1] المُشار إليه في الآية، ومرجع الأوصاف الظاهرة في العرش إنَّما هو الرحمة التي أوجبت تخصيصه بالوجود الجائز حتى توجَّه له الصِّفات المُوجبة للإيجاد؛ كالإرادة والقُدرة وغير ذلك، قال ابن عطاء اللَّه ﷺ في مُناجاته: «يا مَنِ استوى[2] رحمانيَّته[3] على عَرْشه، فصار العرش غيباً في رحمانيَّته[4]، كما صارت العوالم غيباً في عَرْشه، مَحَقت الآثار بالآثار، ومَحَوت الأغيار بمُحيطات أفلاك الأنوار[5] لعيني إذ غيبت الكَوْن في العرش، وغيبت العرش في رحمتك، فالعرش مُحيط بالموجود حسّاً، والرَّحمة مُحيطة بالعرش معنى، هذا هو معنى الاستواء[6]، لا ما يفهمه من عَدَل عن الحقّ، وشَبَّهَ الحقَّ بالخلقِ، تعالى الحقُّ الله عما يقول الظالمون [علوّاً][7] كبيراً.

---

(1) في الأصل الستوى، ونعتقد أنَّه خطأ من الناسخ والمؤلف يُشير إلى الآية 4 من سورة طه وهي قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.

(2) هكذا بالأصل والمُفترض، استوت؛ لأنَّ الفاعل مؤنث متَّصل بالفعل.

(3) في الحكم برحمانيته.

(4) في الحكم في رحمانيتك.

(5) إلى هُنا جاء النص موافقاً للحكم التي اطلعنا عليها، وهي **الحكم العطائية لابن عطاء الله بشرح أحمد زروق**، تحقيق ودراسة رمضان محمد بن علي البدري، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1429هـ/ 2008م، ص268.

(6) في الأصل الاستوى.

(7) زيادة اقتضاها السياق.

«ثَمْ»

إنَّ العرش المُشار إليه هو

«مركبْ في بحرْ اسم ما فيهِ حيْ»

فالأسماء بحر يَسْبح في آثارها الأكوان المُعبَّر عنها بالعرش المُمثَّل بالمَرْكب الذي لا حي فيه، وهو الموجود كُلّه إذا اتّفق في صِفة الافتقار، الظاهر شُمولها له عند جَمْعه في النظر؛ فهو مَيت معنى، وإن لم يكن حسّاً، وإنَّما جعل الأسماء بحراً؛ لأنَّ التفاصيل الوجوديَّة، إنَّما تظهر عن معانيها التفصيليَّة، كما أنَّها تفاصيل معاني الصِّفات، ثم العَبْد معها بِحَسب ما يُقابله منها؛ تارَة يكثر الارتجاج، وترتفع الأمواج، وتارَة تصفو الرِّياح، فتبسط الأرواح، فإذا قابل العَبْد منها الجَلال فلا طاقة، وإذا قابله الجَمال فلا فاقة، وإذا كان المَركب لا حي فيه فَحَرَكته ظاهرة ظهراناً مُحَرِّكُهُ غَيْرُهُ، فلذلك قال:

«على المُحرِّك لُو دُرْ يا فَيْ»

لأنَّ حركته شيء عظيم؛ فمُحرِّكه لا يكون إلَّا أعظم من العظيم، ولئن حَصَل العِلْم بوجوده فالاتِّصال والقُرب منه هو المطلوب [9/أ] الأعظم ولا وجْه لطلبه إلَّا من الحَرَكة الموجبة للعِلْم بوجوده، فمن أراد معرفة اللَّه فلا يهمل شيئاً من الوجود، وينظر في تفاصيل أحواله وأحوال غيره حَركة وسُكوناً، وفي ارتباط العالم بعضه ببعض، ولهذا أشار بعضهم إلى أنَّ حقيقة العِلْم بالقُدرة إنَّما تصحّ بعلم الارتباط من التشريح والطبيعيَّات، فمن لم يقدر على ذلك فله في تفاصيل أحوال الناس كِفاية؛ إذ لم تتَّفق هِمَمهم في المطالب، ومتى اتَّفقت فالحَرَكات مُختلفة، ولهذا اختار العارفون سَكَن المدائن والبلاد الكثيرة التنويع، وتعرفوا أحوال النَّاس على حدِّ الشَّرع، فاعلم ذلك، وهُنا انتهت الترقية عن عالم الحِسّ، وبقي النَّظر في عالم الأحكام فابتدأها بقوله:

«رُدَّ الوجودْ واحدْ وأنتَ ذاكْ»

يعني: لا ترى أحداً مخاطباً سِواك، ولا معنيّاً بالمَغْفرة غيرك، ولا مطلوباً بالحقيقة إلا أنت، ولا حُكم فيه إلَّا لك؛ لأنَّك مع كُلّ مُكوّن مُستو بِصِفات النَّفس وأحكام الافتقار، وتوجُّه الخطاب، ولو كنت في الوجود وحدك لم يستفد من وجودك غير ما استفدته من كُلّ موجود، ولو كان الوجود كُلّه معك ما أغنى عنك شيئاً فيما يتعلَّق بك؛ عادة وعبادة وحكماً، وقوله:

«ولا ترى زايد ليس ثَمَّ سِواكْ»

يعني: أنَّه ليس في الدَّارين إلَّا أنت وربك، وأنت فعله؛ فليس ثم من يعتني به الحقّ غيرك، وقد جاء عنه بقوله[1]: «خلقتُ الأشياءَ من أجلكَ وخُلقتَ من أجلي، فلا تشتغل بما هو لك ممَّا أنت له»، وهذا إجلال عظيم، لذلك قيل: طريقُ العارفِ إلى اللَّه نفسُه لا مَخْرجَ عنها، وقال بعض العارفين ﷺ: إيَّاك وطلب الدَّليل من خارج فيفتقد إلى المعارج، واطلب الحقّ من ذاتك لذاتك تجد الحقّ أقرب إليك من ذاتك، وقوله:

«فِرَّ للسِّوى جَاحِدْ مهما أتاكْ»

يعني: أنَّك أيّها [9/ب] العَبْد إذا أتاك شيء من الوجود طالباً أنْ تكون له فادفعه، سواء كان حِسِّيّاً أو معنويّاً، ولا ترى أنَّ الطلب إلَّا فيك، ولا الرجوع إلَّا إليك، ونظرك لمولاك، إنَّما هو بعد التحقُّق بوصفك أن كان هذا النَّظر لازمًا لك في كُلّ محل، فحقيقته موقوفة على تحقُّقك. وقوله:

«والرأي المرئي»

يعني: أنَّه ما يتجلَّى لك في كُلّ أطوار سُلوكك إنَّما هو من حقيقة وجودك، حتى لو تجلَّى لك الحقّ، فإنَّما تعرفه من حيث أنت، لا من حيث هو؛ لأنَّك إنْ قلت: حيّاً عالماً قديراً لم تثبت ذلك إلَّا من العِلْم بوجوده في وصفك، فما أثبت إلَّا أنت، وإنَّما عقلت من الحقّ توجُّهه، بل تنزُّهه عن وصف النقص اللَّائق بك، ثم تُنزِّهه عن كمالك، فأثبت له الكلام اللَّائق به

(1) هكذا في المخطوط ولعلَّ الصَّحيح بدون باء الجر.

من حيث عِلْمك بتنزيهه لا من حيث إنَّه وصفه، وأنزل على ذلك بما أنزل في كتابه من أوصافه وأسمائه، وأيضاً إذا رأيت الحقّ فإنَّما تراه[1] من حيث فعله فيك، وفعله فيك رأيته فهو الذي رأى نفسه بفعله.

وقوله: «وثَمَّ شْوَىْ» يعني: وهناك شيء، وهو النَّسب[2] المُوجَّه لإثبات العَبْد في عين عدمه واحتجابه عن الحقّ، مع تحقُّق عدم استقلاله دونه اللَّازم لظُهوره فيه وبه وله، وكأن قائلاً قال له: وما ذاك الشوى؟ فقال:

«**سَرابْ**[3] لا يا عاطشْ يظهرْ مُوَيْ»

يعني: أنَّ وجود العَبْد كالسَّراب ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾[4] يعني أنَّه الفاعل له، والمجازي عليه، وجوداً في الموجود وعدماً في العدم، وهذا معنى قول ابن عطاء اللَّه ﷺ «الكون كان ظلمة وإنَّما أناره ظُهور الحقّ فيه»[5]، وكقوله: «الأكوان ثابتة بإثباته وممحوَّة بأحدية ذاته» اهـ[6].

ولمَّا فرغ من الأحكام وذكر محطّ الفناء المُطلق رجع إلى البرهان على دعواه في انفراد [10/أ] الحقّ تعالى فقال:

«**إنْ كنت ممَّن قال ثَمَّ الوسطْ**»

أي: الوسائط والأسباب

«**فقل لُو يا بطل خَلِّ الغلطْ**»

---

(1) ورد هُنا زيادة واو بالأصل يبدو أنَّها زائدة.
(2) هكذا في المخطوط ولعلَّ الصَّواب: السَّبب.
(3) في الأصل شراب بالشين وواضح أنَّه خطأ.
(4) سورة النور، الآية: 38.
(5) انظر: **شرح الحكم العطائية لابن عباد الرندي**، إعداد محمد عبد المقصود، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1408هـ/ 1988م، ص124، وفيها: الكون كُلّه ظلمة.
(6) **شرح الحكم لزروق**، ص143.

يعني وهو القول بالوسط

«واحد هو الفعال في الحضرة قط»

يعني: بالحضرة الوجود[1] كُلّه المُشار إليه بالعَرْش، وإذا كان الفعال واحداً[2]

«فانبذ»

أي: اترك واطرح

«هذه»

الأغيار، يعني ما سِوى الحقّ

«واطويها طي»

يعني: لا تبق لها وجوداً في نظرك، بل غب عنها بالنَّظر إلى مولاك، من حيث اقتضى منك تكليفاً أو تعريفاً؛ لأنَّ قيامك بالتكليف وقوف مع حِكمته، وتسليمك عند التعريف رجوع إلى قُدرته، وليس إثبات أحد الوصفين بأوْلى من الآخر، فوجب اتِّباع الشَّريعة، والوقوف عند الحقيقة، وقد قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: «ليس الشأن من تُطْوى له الأرض فإذا هو بمكَّة، أو حيث شاء من البلاد، بل الشأن من تُطْوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند ربِّه»، وقال ابن عطاء اللَّه رضي الله عنه: «الطي الحقيقي أنْ تُطْوى مَسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك»[3] اهـ. وقوله:

«وأنت في الجُمْلَى تكن فتيّ»

يعني: أنَّك إذا نُبذت الأغيار وطُويت الأكدار فأنت من جُملة من نبذوا ما طَوى؛ لأنَّ حُكم كُلّ شخص حُكم العالم كُلّه في الغيريَّة والافتقار، ومعنى فتي[4]:

(1) في الأصل الوجد، ولعلَّ الصَّواب ما أثبتنا.
(2) وردت في الأصل واحد وهو خطأ لُغوي.
(3) **شرح الحكم العطائية**، للرندي، ص61.
(4) في المخطوط كرّرت فتى.

ذا فُتوَّة؛ أي: كريمَ أنفاس، ودليل ذلك منك طرح كُلّ شيء، والإقبال على [...][1] فلا شيء، قال مولانا جلَّت قُدرته في حقّ أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[2]، وقال الشيخ أبو العباس المرسي[3]: «الفتى من كسر الصنم، قال تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾[4] الآية» اهـ. وصنم كُلّ إنسان ما توجَّه له عن هَوى، واللَّه أعلم.

ولمَّا فرغ من البُرهان والتحضيض توجَّه لتحقيق كُلّ ما أشار إليه من الفناء وغيره فقال:

«ثبتْ من يفنى واشْ هُـ الفنا؟»[5]

يعني أن [10/ب] طلب العِلْم بالفاني ما هو؟ حاش هو، وما الفناء في حَدِّه ومعناه؟ ثم أخبر أنَّه لم يجد غير ذاته فقال:

«فلم نجدْ معنى إلا أنا»

يعني: أنَّه لم يجد للفناء مَعْنى إلَّا طرح وجوده، ولا ما يفنى؛ أي: يطرح إلَّا وجوده، فأفنى من لم يكن، وشهد بالبقاء من لم يزل، والفناء في اصطلاح قوم: شُهود حقّ بلا خَلْق[6]، ومرجعه لرؤية المشهود وحده من حيث

(1) بياض بالأصل بمقدار كلمتين.
(2) سورة الكهف، الآية: 13.
(3) هو أحمد بن عمر بن محمد الأنصاري المرسي ولد بمدينة مرسية الأندلسيَّة التي ينسب إليها، وكان مَمَّن رحل إلى الشَّمال الأفريقي ونزل في الإسكندريَّة التي توفِّي بها عام 686 أو 685هـ وله ضريح بها قد زاره المقري وهو ما زال حتى اليوم معروفاً بالإسكندريَّة، وقد كان من رجال التصوُّف المشهورين، فقد خلف الشيخ أبا الحسن الشاذلي في طريقته كما تلقَّى عنه أبو العباس بن عطاء اللَّه السكندري، وقد عرف عنه الرجوع إلى كُتب بعينها في الفِقه والعقائد والحديث والتفسير. انظر: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، للتنبكتي، ص81، و**نفح الطيب**، للمقري، دار الفكر، 2/ 190-191.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 60.
(5) واش هـُ الفنا؟ أي: وما هو الفناء؟
(6) وهو عند ابن عربي: «رؤية العبد للعلّة بقيام اللَّه على ذلك»، **اصطلاح الصوفيَّة**، تأليف الشيخ محيي الدِّين بن عربي، حقَّقه وضبطه وقدَّم له عبد الرحيم مارديني، ط1، دار المحبة، دمشق، 2002، ص114.

الشُّهود، قال ابن البنا[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشُّهود من إشهاد المشهود كشف الوجود» اهـ. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ما كل من غنى ينشد لنا»

يعني: أنَّه ليس كُلّ شيخ أو مُتوجِّه يصلح لإفادة أهل المعرفة، وذم الفناء، ولكن[2] منادٍ يسمعهم، وإنَّما يسمعون نِداء الحقّ ومُناديه في الكَوْن الذي هو لِسان الحال [و]هو يقول:

«عُريانْ نريدْ نمشِي»

يعني: ليس لي شيء أرجع إليه، لخُروجي عن كُلّ شيء كما قال بعضهم، وقد قيل: فوِّض أمرك إلى اللَّه، قال: ليس لي أمر حتى أفوِّضه إليه، انتهى، وقوله: «أجل شيء».

يعني: أنَّ عُريه أرفع شيء في الوجود، وهذا العُري معنوي شبهه بالحِسِّي؛ إذ قال:

«كما مشى قبلي غيلان ميْ»

يعني: صاحب مي الذي كان يعشقها، واسمه غيلان[3]، ويحتمل أنْ يُريد

---

(1) لعلَّه أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي عرف بابن البنا؛ لأنَّ أباه كان يحترف مِهنة البناء كان عالماً مشاركاً في عُلوم عديدة من طِب وفِقه وأُصول وعربيَّة وفلك ومنطق وغيرها وقد ترك كتباً عديدة، كان يأخذ في طريق التصوُّف ويستعمل الصَّوم والخُلوة ولازم الصوفي المدعو عبد الرحمن الهزميري وله ضِمن مؤلَّفاته كُتب تدلّ على تصوُّفه مثل: **مراسم الطريقة في علم الحقيقة**، ومقالة شرح فيها لغز عمر بن إسماعيل بن الفارض. انظر: ترجمته في **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، للعباس ابن إبراهيم السملالي، مُراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة المَلَكيَّة، الرباط، 2/ 202-210، و**الأعلام**، لخير الدين الزركلي، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، 1/ 222.

(2) لعلَّ الصحيح ولا.

(3) هو غيلان بن عقبة أحد بني عدي بن عبد مناة بن أدٍّ؛ شاعر أُموي عده ابن سلام في الطبقة الثانيَّة من شُعراء الإسلام، له ديوان مُحقَّق، وقد درس شعره دراسات عديدة، وميَّة التي شهر بها هي ميَّة المنقريَّة التي أحبَّها وشبَّب بها في شِعره، انظر: **طبقات** =

العُري المَعْنوي، فإنَّه لم يبقَ له في وجوده حُكم معها، وهُنا انتهت هذه الزجليَّة، وباللَّه التوفيق.

ومن المُقطَّعات الموافقة لهذه في الطَّبع والوزن والمَعْنى قوله:

[المُقطَّعة الثَّانية]

«**الحب أفناني وكنت حيّ....**» إلخ

وما الفرق بين هذه وتلك إلَّا أنَّ هذه دعوى وتلك تعليم وإفاد [ة][1] وقوله: الحُبّ أفناني؛ يعني أنَّه لا علَّة للفناء إلَّا الحُبّ؛ لأنَّ المُحبّ لا يُبقي[2] في الحُبّ فضلة لغير محبوبه فيصير ميتاً في صُورة حي؛ إذ لا انتفاع له بنفسه كما لا ينتفع بها الميت، وقوله:

«**ما نَظَرتْ عيني جهداً إليّ**»[3]

يعني: أنَّه حين نظر إلى كماله في ذاته وقع حُبّه على ذاته، فطلب كمالها فوجده في فنائها بمحبوبها، فلم [11/أ] تبق بقيَّة إلَّا له، وقوله:

«يا قد...» إلخ إشارة ظُهور ما في باطنه على ظاهره، وهو المِثال الصَّدر الذي ظهر به وجود الروح، بحيث دلَّ وجوده على وجودها، وكماله على كمالها، وأنَّها أكمل الموجودات لأنَّها أكملها، وهي أكمل منه فإنَّها جماله، ورؤيته استحالة وجود غيره، يعني من الأكوان على خِلاف حُكمه، ومطلقاً،

= الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، إعداد اللَّجنة الجامعيَّة لنشر التُّراث العربي، دار النهضة، بيروت-لبنان، ص131-138. و**الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني، شرح عبد الأمير علي مهنا، ط2، دار الكتب العِلْميَّة، بيروت، 1412هـ/ 1992م، 18/ 5-58، و**الأعلام**، لخير الدِّين الزركلي، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، 5/ 124، و**معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، 2/ 605.

(1) زيادة اقتضاها السِّياق.

(2) في الأصل: لأنَّ المحبة لا يتقى، ونظنه خطأ.

(3) لعلَّ الصَّواب إلا إليَّ.

إذ هو فعل الحقّ، وكُلّ شيء كذلك بما تمّ غيره، كما جاء في الخبر «كان اللَّه ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[1]، وقوله:

«**ألا هو المحبوب**» إلخ

معناه تقدَّم في قوله:

«**رد الوجود واحدْ**»

وإنَّما امتاز هذا المحلّ بالدَّعوى والتغزُّل وهو بيِّن، وقوله:

«**صفاته لا تخفى لمن نظرْ**»

يعني التي هي العجز والفقر والضعف والذل.

«**وذاتي معلوقة تلك الصُّوَرْ**»

يعني: أنَّ ذاته معلوقة الأحكام، وهي الافتقار في غير الكمال، ثم الصِّفات والذات إنَّما هي صُور لمعاني أوصاف الحقّ؛ إذ هي الموجبة لها، وقوله:

«**فافن**[2] **عن الأخساس**» إلخ

تقدَّم معناه في أوَّل أبيات[3] الزجليَّة الأُولى، وقوله:

«**بالسر والمعنى خفيتْ**»

يعني: أنّ سبب خَفَائه سرّه ومعناه، وأنَّ سرّه ومعناه خفي فلا يظهره لأحد، وقوله:

«**كيْ**»

(1) أورده ابن عطاء اللَّه وذكره زروق على أنَّه حديث باللَّفظ نفسه الذي ذكره هُنا، انظر: **الحكم العطائية بشرح زروق**، تحقيق رمضان محمد بن علي البدري، ط3، دار الكتب العِلْميَّة، بيروت، 1429هـ/ 2008م، ص60.

(2) وردت بالمخطوط بألف فافنى.

(3) وردت بالأصل البيت وهو ما لا يصح.

يعني: إنَّما وقع هذا الخَفَاء ليقع الفناء، ويدلّ عليه قوله:

«لأنه مني سَتَرْ عليْ»

يعني: أنَّ سِرّه ومعناه سَتْر منه عليه، ومن هُنا جاء أنَّ وجوده الفنائي غير البقائي، ومعناه في قول ابن عطاء الله: «سبحان من سَتَر سِرّ الخُصوصيَّة بظُهور البشريَّة، وظهر بعظمة الرُّبوبيَّة في إظهار العُبوديَّة اهـ»[1].

وقوله:

«فيا قد فشا سِرِّي بلا خَفِيْ»

تقدَّم معناه، وهو ظاهر التصوُّر، وليس فيه إلَّا قوله ثوب الغفا، يعني الغفلة أو النَّوم، وعلى أنَّه بالعَيْن المُهْملة[2] فيعني الفضلة[3].

ومن المُقطَّعات الزجليَّة له رضي اللَّه عنه، وهي خِلَاف طَبْع الأُولى [11/ب] ووزنها، وفيها من المعاني ما ليس فيها[4] قوله:

[المُقطَّعة الثَّالثة]

«نَقُلْها مجهرْ بالصباحْ»

يعني أنِّي لا أحتشم بِقَوْلة أقولها وأسترسل في مقالي، وعليه بعض النُّسخ إذ فيها رسلي، والمقالة هي قوله:

«ليس لك شيء ثاني»

إذ ليس لك أيَّها العَبْد من الأشياء ثانٍ في صُورتك الظاهرة؛ إذ هي

(1) في **الحكم العطائية بشرح زروق**، تحقيق البدري، ص120: «فسبحان من ستر سر الخُصوصيَّة بظُهور صِفات البشرية وظهر بعظمة الرُّبوبية في إظهار وصف العبوديَّة».

(2) أي: العفا.

(3) جاء في **لسان العرب**، مادة: ع ف ى، 14/ 74 العفو: الفضل، وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: 219].

(4) أي: في هذه من المعاني ما ليس في تلك.

مُنتصبة بديعة الخلق، وعِلْم العَبْد بذلك يوجب له رَفْع الهمَّة عن الخلق، وهذا كما قال ابن عطاء اللَّه ﷺ: «جعلك في العالم المُتوسِّط بين مُلكه ومَلَكوته ليعلمك جَلالة قدرك بين مخلوقاته، وأنَّك جَوْهرة تنطوي عنك أصداف مَكنوناته، وسعك الكَوْن من حيث جِسمانيَّتك، ولم يسعك من حيث ثُبوت روحك اهـ»[1].

وقوله:

«وكن فقيراً وارم السلاحْ»

يعني: أنَّك إذا صحَّ عنك جَلالة قَدرك فلم ترضَ لنفسك بغير الحَقّ، فتوجَّه إليه بالفَقْر والفاقة، وإسقاط الحَول والقُوَّة، فإنَّ الغِنى الكامل لا يُلاقى إلَّا بالفَقر الكامل، قيل لبعضهم: بِمَ[2] تلقَ ربّك؟ قال: وهل يُلْقى الغني إلَّا بالفَقر؟ وقال غيره: واللَّه لئن لقيته بفقرك لتلفينَّه الأعظم، يعني إنَّما يُقابل الحقّ بِفَقر حتى في الفَقر، ومن الفَقر، قال أبو مدين[3] ﷺ: قيل لي خزائننا مَمْلوءة بالخدمة، فإنْ أردتنا فعليك بالذل والافتقار، كما قيل [في] أدب شِعري [مجزوء الكامل]:

إن العبيد تذلل ... والعبدُ لا يدع الأدبْ[4]

فإذا تكاملَ ذُلُّهُ ... نال المودَّةَ واقتربْ[5]

(1) في **الحكم بشرح زروق**، ص215: منطو عليها، جسمانيتك، من حيث روحانيتك.

(2) وردت في الأصل بألف بعد الميم وهو خطأ.

(3) هو شعيب بن الحسين الأندلسي، أصله من قرية من قُرى إشبيلية نزل طنجة وسبتة وبجاية ومراكش ومنها إلى فاس، ومات في عام 594هـ، ودُفن بخارج تلمسان كان عالماً من العُلماء حافظاً للحديث واعظاً رحل إلى الشرق فحج وجاور بمكَّة ولقي بها عُلماء وصُلحاء وأخذ عنهم من بينهم عبد القادر الكيلاني، انظر ترجمته في: **التشوف إلى رجال التصوف**، لأبي يعقوب التادلي ابن الزيات، ص319-326، وفي **نفح الطيب**، 7/ 136-144، **ومعجم المؤلفين**، لكحالة، 1/ 815.

(4) في المخطوط الأب ولا معنى له في السياق.

(5) ورد البيتان في **الحكم العطائية**، ص134.

وقوله:

«في ضماني»[1]

يعني أنَّك إذا فعلت ما أَمَرك به من التجريد عن وصفك، والقِيام مع الحق تكليفاً وتعريفاً، كان الشيخ ضامناً[2] لك الفَلاح والوصول، وإنَّما دعاه لذلك ضَمان الحَقّ في وعده[3] بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾[4]؛ أي: كافيه ووافيه [12/أ] وناصره، وقد كتب ابن عباد رضي الله عنه للسراج[5] رحمه الله: «كُن لربك يا أخي في كُلّ زمان، وتجرَّد له من حولك وقُوَّتك، وأمان اللَّه على العَرْيان، اضرب الزِّير بالقِلَّة، وابق بلا عَلاقة ولا عِلَّة اهـ» تعلُّقاً من حِفْظي بطول العَهْدية، ونقله عن سَماعي له، واللَّه أعلم، فإذا عرفت مِقْدارك، وصح افتقارك فلا تهمل الأُمور ولكن:

«اطلب كمالك يا فلان إن كنت غافل»

---

(1) بالأصل ظماني وهو خطأ.

(2) وردت بالأصل ظامن وهو خطأ إملائيّاً ونحويّاً.

(3) في الأصل وردت «وحده» ولا معنى لها.

(4) سورة الطلاق، الآيتان: 2-3.

(5) هو أبو زكرياء يحيى بن أحمد السراج، الرندي، النفزي، الحميري، ذو أُصول أندلسيَّة؛ عاش بالمغرب، وصار فقيهاً إماماً محدِّثاً راوية، كثير الولع بالاطِّلاع والمُذاكرة حتى قال عنه ابن القاضي (**جذوة الاقتباس**، 2/ 539). «قلَّما تجد في كتب المغرب كتاباً ليس عليه خطه» وقد انتهت إليه رواية الحديث في زمنه وبلده وترك فهرسة معروفة توجد مخطوطة في بعض خزائن المخطوطات المغربيَّة وغيرها، توفِّي أبو زكرياء هذا عام 803 أو 805هـ، وابن عبَّاد هو أبو عبد الله محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر ابن عباد رندي، أي: أندلسي نشأة ونفزي نسباً، له مُشاركات في عُلوم كثيرة، توفِّي عام 792هـ، وقد ترك مؤلفات شَتَّى، كان معاصراً لأبي زكرياء السراج، وقد نقل التنبكتي عن بعضهم (**نيل الابتهاج**، ص634) أنَّ ابن السراج هذا كانت بينه وبين ابن عباد الرندي مُراسلات وإشارات، بل ذكر التنبكتي والمقري (**نيل الابتهاج**، ص473، **النفح**، 5/ 341) أنَّ السراج هذا عرف في فهرسته بابن عباد الرندي ووصفه بقوله: «شيخنا الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الخاشي، الإمام المُصنِّف، السالك العارف، الرباني المُحقِّق... إلخ» انظر ترجمة الرندي موسعة في: **نفح الطيب**، 5/ 341-350.

وليس لك الكمال إلَّا الخُروج عن عالم الحِسّ، والتعلُّق بطلب المعالي في المعاني، وإيَّاك والتعلُّل في ذلك بالزمان وأهله؛ فالمُعطي لمن تقدَّم، هو المنَّان على من تأخَّر، وبِحَسب هذا.

«لا تستمع لقول كانْ سيدي فلانْ»

من أكابر القوم، أين أنا منهم؟ وكيف أهم أنْ أنال مَرْتبتهم، فإنَّ ذلك قاطع وَجِدَّ في الطَّلب، فإنَّ مطلبك حاصل وهو اللَّه الذي لم يزل، وهيا على الدُّرِّ هَلُمّ، وللَّه در ابن مالك؛ حيث يقول في صَدْر التسهيل: «إذا كانت العُلوم منحاً إلهيَّة ومواهب اختصاصيَّة فغير مُستبعد أن يفتح على بعض المُتأخِّرين ما عَسُرَ على كثير من المُتقدِّمين...»[1] إلى آخر كلامه، وقوله:

«وامحُ الزمانْ مع المكانْ»

معناه لا تقل زماننا ليس كزمان من تقدَّم، ولا مكاننا كالأماكن الفاضلة، فتتوقف على العمل لعلَّة الزمان والمكان؛ بل اقصد مولاك في كُلّ وقت؛ فهو المنَّان بلا عِلَّة، والمُتفضِّل من غير مُراعاة سبب، وقد يكون مُراده بمحو الزمان والمكان أنَّك لا تنفيهما عن وجود الحَقّ، وهذا الذي يتبادر للذهن، لكن ليس دليل من خارج في كلام المُصنِّف، نعم قد يُسْتَرْوَحُ[2] من قوله:

«والكل باطل»

ومَعْنى الزَّمان والمكان وقبيلهما[3] باطل لا حقيقة له إلَّا من حيث تحقيق الحَقّ إياه لذلك، وكان عليه الصَّلاة والسَّلام يتمثَّل ببيت لبيد[4]: [الطويل]

---

(1) **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، لجمال الدِّين أبي عبد اللَّه محمد بن مالك، المطبعة الميرية بمكَّة، الطبعة الأُولى، 1319هـ، ص1، وفيه: «يدخر لبعض» بدل «يفتح على بعض».

(2) لعلَّه قصد بيستروح، أي: توجد فيه رائحة؛ أي: يشتمّ، أي: يدرك.

(3) بالأصل قليلهما ولعلَّ الصحيح ما أثبتناه.

(4) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري الشاعر المشهور واحد من أصحاب المُعلَّقات ومن الشُّعراء المُعمرين، أدرك الإسلام وأقبل على رسول الله وأسلم وأدرك خلافة عمر بن الخطاب، انظر ترجمته والبيت في: **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة، =

ألا كل شيء ما خلا الله باطل .....

ولما شهد القوم كُلّ شيء سِواه تعالى باطلاً[1] [12/ب] جَرَى على ألسنتهم غير البارئ، والفُقهاء لما كانت مُخاطباتهم من حيث أمره لم يبالوا بِمَا جَرَى على ألسنتهم من ذكره فافهم، وقوله:

«وإياكْ لا تنكر اصطلاحْ»

يعني اصطلاح الحَقّ في الخَلْق من حيث العوائد والأسباب والشرائع وترتيب اصطلاح القوم في مُراعاة الأمكنة والأزمنة عند إمكان التوسُّع واتِّساع التوجُّه، ففيه معانٍ وحِكَم وأسرار اقتضتها الحِكْمة الإلهيَّة، بحيث صيَّرتها سنَّة لا تتبدَّل، ﴿فَلَن[2] تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾[3]، والمقصود الخروج عن عالم التقييد إلى عالم الإطلاق في عالم التقييد؛ بحيث يكون ما تقيد به من نتائج الإطلاق، وهو أنْ تقوم في الخَلْق بالحَقّ، فتدخل معهم بما خرجت به عنهم، وقوله:

«تحتهْ مراتبْ صحاحْ»

يعني أنَّ الاصطلاح في الجَري عليه الأخذ بستة مراتب صحيحة الإفادة، والمَعْنى يقتضي ألَّا يهمل منه شيء، كما أنَّ صُورته الوهميَّة تقتضي نفي كُلّه،

= ص148-156، وانظر البيت والحديث عن تمثل رسول الله به، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، دار المعارف، 1400هـ/ 1989م، ص510. ونصّ الحديث في **منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، لعلي بن حسام الدِّين بن عبد الملك الشهير بالمُتَّقي الهندي، ط1، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، 1410هـ/ 1990م، 1/ 372: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل .....

وقد ذكر المُتَّقي الهندي أنَّ الحديث جاء برواية أبي هريرة في الصحيحين وفي سنن ابن ماجه.

(1) بالأصل باطل.

(2) في الأصل بالواو وهو خطأ إن قصد لفظ الآية.

(3) سورة فاطر، الآية: 43.

ولذلك أوصى سيدي رضي اللَّه عنه أخي محمد المجاصي[1] زاده اللَّه من فَضْله بأن قال له: «يا بُني اجمع الأشياء الخبيثة كما تَجْمع الطيِّبة فإن للَّه سرّاً[2] في كُلّ شيء» اهـ، وقوله:

«حسنهْ دعاني»

أي: تحاسن اصطلاح الحَقّ في الخَلْق دعاه إلى الحَقّ، أو حسن اصطلاح القَوْم دعاه؛ من المرتب والتربية ونحو ذلك فافهم، ولما فرغ من الحَظِّ والتحذير أتى بطريق الاصطلاح في المعاني على صِيغة الأمر ليفيد السُّلوك فقال:

«اجمع وفرق وانجمعْ»

يعني رُدَّ الوجود عرشاً، ثم فرَّق بين العَرْش والمُستوي عليه، ثم انجمع بأنْ ترد الوجود واحداً[3] وأنت ذاك، كما تقدَّم في أوَّل الزَّجليَّة الأُولى عند قوله:

«خذ الوجود كلا...» إلخ

البيت الثاني من هذا البيت، وقوله:

---

(1) وجدت ثلاثة مِمَّن يُلقَّبون بالمجاصي ولعلَّ المُترجم واحد منهم فأحدهم خلف اللَّه المجاصي من عُلماء فاس كان فقيهاً حافظاً، أخذ عن أبي الربيع الونشريسي وتوفِّي سنة 732هـ، انظر: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ص165، أمَّا الآخر فهو الأُستاذ المُقرئ الفقيه النَّحوي أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن المجاصي الشهير بالمكناسي من مشايخ ابن عباد الرندي، انظر: **الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، ص202، والثَّالث هو أبو عبد اللَّه محمد بن شعيب بن عبد الواحد بن الحجاج المجاصي؛ حيث يذكره ابن غازي ضِمن مشايخ مشايخه الذين كانوا قد أخذوا عنه **الدرر اللوامع**، لابن بري الرباطي، انظر: **فهرس ابن غازي**، تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ص36، كما ذكر عبد الحي الكتاني القاضي أبا عبد الله المجاصي، انظر: **فهرس الفهارس والأثبات**، باعتناء إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/ 1982م، 1/ 255.

(2) في الأصل سر، وهو خطأ نحوي.

(3) في الأصل واحد، بالرفع، وهو لا يصح.

«**وافنى واثبتْ**»

معناه في قُوَّته قُوَّتك لجسمك إلخ، وقوله:

«**خل الجزع**»

يعني الشفقة على عالم الجسم، وقوله:

«**شيخنا إن مت**»

هو معنى قوله:

«**فافنى ودع حبو وتبقى حيْ**»

وقوله:

«**واخلع عذاركْ**»

[13/أ] يعني اترك الكُلّ وتوجه للحَقّ بلا عِلَّة، وقوله:

«**وانطبعْ**»

يعني: عامل كلا مِمَّا يليق به، فأعطِ الربوبيَّة حقها والعبوديَّة حقها، وقوله:

«**واشطحْ**»

يعني: مازج الحقيقة مُمازجة لا يصحّ إظهارها في غير حِفظ الأدب والحرمة الشرعيَّة والتحقيقيَّة، وقد يُريد بذلك إظهار الزهو والفَرَح بالمولى واللَّه أعلم، وقوله:

«**واسكتْ**»

يعني: لا تترجم عن أسرار الحَقّ فتعاقب بالسَّلب والإضرار، شِعر: [الوافر]

ومن فهم الإشارة فليصنها ... وإلا سوف يُقتَل بالسّنان

كحلَّاج المحبَّةِ إذ تبدَّت ... له شمس الحقيقة بالتّداني

ولا يَصحّ أنْ يكون اصمت؛ لأنَّ الصَّمت فيه حذف الباطن، وهو مُنافٍ للشطح، وإن شئت قلت: اجمع الوجود بِمَشَاهد النغم والكمال، وفرق أحكامه بالنّسب الإلهيَّة، وانجمع في كُلّ ذلك، بحيث تراه من مولاك، وافن[1] عن رؤية ذلك، وعن فنائك واثبت بوجود الحَقّ؛ بحيث ترى وجودك في غير عامل بوجود، ولا وجود في غير تفصيل، واحي[2] بالمعاني الرُّوحانيَّة، ومت عن الحظوظ الجِسمانيَّة، ستحيا بالمعرفة، وإن مت عن الحظوظ البشريَّة، واخلع عذارك بحيث لا تُبالي في طَلَب مَحْبوبك، والانقطاع والشطح تقدَّم معناهما[3]، واللَّه أعلم، ثم قال:

«وكن بحالي في اصطلاح»

يعني في اتِّصال أفراحك، وعدم سُلوك، وأفراحك وأتراحك، وقوله:

«كما تراني»

أي: كما يظهر لك من الحَي وهو عَدَم المُبالاة بِمَن قام وقَعَد، ولا بِمَن بَرَق وَرَعد، وقوله:

«واسكر»

معناه: غب عن وجودك بأمر حل فيك مَحلّ الشَّراب، وهو الحُبّ الذي يتخلَّل كُلّ شيء من وجود العَبْد، ويخرجه عن معهوده بلذَّاته وقَهْره، وقوله:

«وسلم للصحاحْ»

يعني: الذين لم يقع لهم سكر بالحقيقة، ولا انكسار في الطريقة، وإنَّما يقع التسليم لهم لأنَّهم مفعول بهم، فهم[4] أوانٍ لما يضعُ الحقُّ فيهم من

(1) في الأصل وافنا وهو خطأ إملائي ونحوي.
(2) بالأصل واحيا وهو خطأ.
(3) في الأصل معناهم.
(4) في الأصل فهو.

تسليم، [13/ب] أو إنكار، أو اعتقاد، أو تحقيق أربهم، أو غير ذلك، وفي الخَبَر عن علي كرَّم اللَّه وَجْهه: «القُلوب اللَّه اهـ»[1]. ولمَّا فرغ من وجْه السُّلوك ذكر نتائجه وأحكام النتائج فقال:

«فإن شعرت»

أي: تفطنت

«بالوجودْ»

أي: بمعنى الكائنات وصُور الكَوْن.

«قد لاح في ذاتكْ»

أي: ظهر [ت][2] معانيه فيه، بحيث رأيت أنَّك نُسخة الكَوْن، و[3] ظهر لك أنَّ وجود الحَقّ ظهرت فيك معانيه من الأوصاف الكاملة كالعُرْي والغِنَى والقُوَّة والقُدرة إلى غير ذلك

«هو دسْ»[4]

أي: لا ترتح[5] عملاً عليها، وانظر إلى كمالك بها

«فذاك الذي ظهرْ لكْ صفاتكْ»

النفسية، التي هي الفقر والعجز والضعف أنلت عناية عند تحقُّقه فصرت عزيزاً في ذُلِّك، ذليلاً في عِزّك، فقيراً في غِنَاك[6]، غنيّاً في فَقْرك؛ فبقدر تحقُّقك في وصفك يظهر[7] عليك من الأوصاف، وإلى هذا المَعْنى يشير [قول]

(1) لم أجد هذا الأثر في المصادر التي رجعت إليها.
(2) في الأصل بدون تاء وهو خطأ.
(3) في الأصل و.
(4) أي: دسيسة وغش.
(5) في الأصل لا ترتع.
(6) في الأصل غنائك.
(7) في الأصل تظهر.

ابن عطاء اللَّه ﷺ: «تحقُّقُك بأوصافك يُمِدّك بأوصافه»[1]، وقوله: «كُن بأوصاف ربوبيَّته مُتعلقاً، وبأوصاف عبوديَّتك مُتحقِّقاً»[2]، ثم قال: «منعك أنْ تدَّعي ما ليس لك ممَّا ليس للمخلوقين، أفيصحّ لك أنْ تدَّعي وصفه وهو رب العالمين؟» اهـ، [3] وقوله:

«واصرف ترسك للقعود»

معناه: اترك الكُل على الكُل، وتوجّه للحَقّ دون الكُلّ، فلا ترس إلَّا التوحيد، وكُلّ الخَلْق قُعود عن إدراك الحَقّ، وقوله:

«وألق عصاكْ»

يعني: اطرح من جُملة الوجود نفسك، ويحتمل أنْ يُريد الدُّنيا بما فيها من خَلْق وغيرهم، فقد قال الشيخ أبو العباس المرسي[4] ﷺ جفي إشارة قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ الآية[5]: «يقال للولي: وما تلك بيمينك أيُّها الولي؟ فيُقال: هي دنياي أتوكأ عليها، وأهش بِهَا على غَنَمي، وغَنَمه أعضاؤه، فيُقال له: ألقها، فيلقيها، فيكشف له عن حقيقتها، فإذا هي حيَّة تَسْعى، فيُقال له: خُذّها ولا تَخَف، فيأخذها بإذن كما تركها بإذن، فأطاع اللَّه في أخذها [14/أ] كما أطاع في تَرْكها، اهـ»، وقوله:

«وقل لعقلك استراح»

---

(1) انظر: **شرح الحكم العطائية**، لابن عباد الرندي، ص74.

(2) انظر: **شرح الحكم العطائية**، لابن عباد الرندي، ص66.

(3) **شرح الحكم العطائية**، للرندي، ص67.

(4) هو أحمد بن عمر بن محمد الأنصاري المرسي من أكابر الأولياء تلميذ الشاذلي وشيخ ابن عطاء اللَّه السكندري عدَّه المقَّري ضِمن الخارجين من الأندلس إلى المشرق؛ إذ كان قد ولد في مرسية ونشأ بها، ورحل من الأندلس إلى الإسكندرية؛ حيث أقام بهذه الأخيرة إلى أن مات عام 686، انظر: **نفح الطيب**، 2/ 190-191.

(5) سورة طه، الآية 16.

أي: هذه أُمور لا حاجة لك[1] أيُّها العقل فيها، فإنَّ الفُتوحات من وراء طَوْر العَقْل، كما أنَّ العَقْل من وراء طَوْر الحِس، لذلك قال ابن البنا رحمه اللَّه: «نِهاية عقل المُتعقِّل ألَّا قرار بِمَا فَوْق المُتعقِّل، بل إيمان وتسليم في قدرك الفعل فصوره عن الحكم والاحتمال على ما فوق طَوْره، وهي رُتبته العُليا» اهـ، وقوله:

«نخلع عناني»

تُريد عن التقييد، يعني وتدخل في عالم الإطلاق؛ إذ لم ترس له، فتنزَّه الحَقّ تنزيهاً مُطلقاً لا ينتهي إليه العَقْل، ولا الفَهم؛ إذ هو مُحال على العجز المُنادى على الوجود بوجود الجَهْل الذي لا يرتفع إلى الأبد، وقوله:

«وقل لعقلك الرواح مع كل فاني»

يعني أنَّ كُلّ ما أثبت من وجود موهوم فاطرحه، وقف مع الحق بنفي الأوهام جُملة، لا سيَّما في جانب الحَقّ، لذلك قال بعض الحُكماء لِمَن طلب التعلُّم من حِكمته: «اعلم أنَّ العَقْل يطلب إدراك الأشياء من حيث عِلَلها، والوهم يطلب الأشياء من حيث صُورها، والحِسّ يطلب الأشياء من حيث الإحاطة، واللَّه تَعَالى ليس بذي عِلَّة فيُدركه العَقْل، ولا بذي صُورة فيُدركه الوهم، ولا بِذِي جِهة فيُدركه الحِسّ، ولمَّا فَرَغ من إحكام النتائج وسُلوكها ذكر فائدتها فقال:

«في ذلك المقام تظهر صحيح عبد التحقق»

يعني: وأمَّا قبله من المَقَامات المَبْنية على الأوهام والعقليَّات فمراتب دون التحقُّق والتحقيق؛ إذ يُمكن الرجوع عنها والحول دونها وقوله:

«تحد عن الفعل القبيح وتتبع الحق»

يعني: بوجه لا يُمكنك الانفكاك عنه، بحيث يصير لك هذا الأمر كالنفس وهو مَحل إسقاط كُلفة التكاليف وتأكّد وجود التكليف لرؤية حَقّ الحَقّ بلا عِلَّة، ورد الكُلّ إليه، وقوله:

(1) في الأصل لها.

«وكل ما ترى مليحْ»

يعني: أنَّك مع وجود الحَقّ مُستحسناً لوقائع الوجود [14/ب] من حيث نِسْبتها للحَقّ؛ إذ كُلّ أفعاله تعالى جميلة، ثم يُراعى فيها النّسب الحكميَّة المُقتضية للتحسين والتقبيح؛ باعتبار ظاهر الحكم وعَيْن التحقيق، لا الحقيقة نفسها، وقوله:

«نظرك مطلقْ»

يعني: في باب التحسين والتقبيح، والإقبال والإدبار؛ إذ ترى الكُلّ فعلاً لمولاك، وفعل الجميل جميل، وترى من ذلك جماله ووجود حِكمته؛ ومن حكمته إثبات النّسب، ومن ثُبوت النّسب ثُبوت الأحكام، فتعامل الحَقّ في قُدرته وحِكمته بِمَا يجب له بذلك، قال بعضهم في مُناجاته: «إلهي جَلَّت عظمتك عن أنْ يعيك عاصٍ، أو يَنْساك ناسٍ، وإن من شيء إلَّا يُسبِّح بحمدك، لكنَّك نفخت روحاً من أمرك في أسرار الكائنات، وأطاعك العاصي بعِصْيانه، وذكرك الناسي بنسيانه، إن عصى العاصي داعي إيمانك فقد أطاع داعي سلطانك، لكن قامت عليه حُجَّتك، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[1] اهـ» وقوله:

«فمن يُجِبْ وقتاً يا صاحِ بلا تواني، ثم يسمع الجواب صَراحْ بلا تراني»

يعني: إنْ كان في إجابته لِلْحَق في أمره ونَهْيه غير مُتراخٍ أسمعه الحَقّ نِدَاء الحقيقة، بالوقوف على المَعْرفة الموجبة لإجلال الحَقّ، وشُهود جَلاله المُقتضي رفع الوصول إليه إلَّا بالعجز، وهو محلّ التنعُّم والطرب بالوقوف على عواقب الحَقّ، ولذلك قيل: «من كان للَّه تَلَفُهُ كان على اللَّه خَلَفُهُ»، ثم بيّن ما هي الإجابة بلا توانٍ فقال:

«اعمل على فك الرموزْ»

(1) سورة الأنعام، الآية: 149.

يعني: وجود المَخْلوقات وحَرَكاتهم؛ فإنَّ لكُلّ مَعْنى ظهر منهم فهو رمز من رُموز الحَقّ ضمنه نوعاً من التعريف، فمن فك رمزه عرفه بها، وقوله:

«فإن سلمت»

يعني: أسلمت وجْهَك للحَقّ بالتسليم والعمل بأحكام الإسلام، وقوله:

«ستفوزْ»

أي: تنجو مع حُصول الفلاح، ونجاتك إنَّما هي

«من ذرع سبعين»

أي: من السَّلاسل التي قال اللَّه تعالى فيها: ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾[1] [15/أ] وقوله:

«وسل في كل ما تعوذ عبد ابن سبعين»

يعني أنَّه لا يكمل إلَّا بالرجوع في جميع مُعاملاتك، ويعني بعبد ابن سبعين نفسه؛ إذ هو تلميذه، قد خاطب تلامذته بالرُّجوع إليه في كُلّ ما يحتاجون إليه؛ فإنَّما ذلك سُنَّة المُريد مع شيخه، وقوله:

«في ساعة يلقى لك سبَّاح»

يعني: أنَّك إذا سألته يلقي إليك بحار التسبيح فيها، وهي شرح المعاني؛ يعني فاتحة الكتاب؛ إذ كان أكثر سُلوكه فيما نعم، وكُلّ المعاني عائدة إليها وخارجة منها، فكُلّ ما يلقيه الشيخ لمُريده خارج منها ومُضمن فيها، وقد جاء في الحديث: «إنَّ فيها ما في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»[2] وقوله:

---

(1) سورة الحاقة، من الآية: 32.

(2) يبدو أنَّ في النَّص تحريفاً؛ إذ جاء في **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، ط2، دار الشام للتُّراث، بيروت، 1/ 109-110 «قال البستي: ومعنى هذه اللَّفظة ما في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، أنَّ اللَّه تعالى لا يُعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يُعطي لقارئ أمّ القرآن»، وقال ابن العربي: قوله: «ما أنزل اللَّه في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها وسكت عن سائر الكُتب كالصُّحف المُنزلة والزبور وغيرها؛ لأنَّ هذه المذكورة أفضلها، وإذا كان الشيء أفضل الأفضل صار أفضل الكُلّ».

«يرجع لك الظلام صباح»

يعني: أنَّ الشيخ إذا ألقى للمُريد شيئاً مِمَّا يحتاج إليه المُريد أضاء به سِرّه فولَّى نوره، وعَظُم سُروره، فرجع ظلام النفس نوراً بِما بلغ إليه

«والبعد»

الذي كان توهُّمه في ظُلمته

«داني»

أي: قريب؛ فيقرب إليه البعيد، ويسهل عليه اليسير، حتى يرى الحَقّ أقرب إليه من نَفْسه، فلا يحتاج إلى دليل ولا غيره، ولا يُدركه دهش ولا حَيْرة، ولمَّا فرغ من أحكام السُّلوك والفناء عاد إلى[1] التنبيه على عَدَم الإنكار والتعريف بمحل الإضمار فقال:

«إن كنت تعرف ذا الغزلْ وإلا سلّمْ»

يعني: إنْ فاتك الذَّوق فلا يفوتك الإيمان والتسليم فتكون من الذين ﴿كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ﴾[2] به، وقوله:

«عروضه قد انعملْ فيما تقدم»

يعني: أنَّ ما يوافقه في الطَّبع والوزن قد تقدَّم لغيره، وذلك أنَّه موزون بقانون الزجل، يعني كن اللَّحن والتركيب وغيره، وقوله:

«من لوم ليفهم»

يعني: ما[3] وضعه على هذا الوضع إلَّا ليفهم، يعني لتألفه للطِّباع فإنَّها شكلها[4] فتفهمه، وتنشرح له بلا كُلفة، وعُروضه للمعمول ممَّا تقدَّم، وهو المُفتتح بقول [15/ب] قائله:

---

(1) في الأصل على.

(2) سورة يونس، من الآية: 39.

(3) بالأصل «إنَّما» والصحيح ما لأنَّ أداة الاستثناء إلَّا بعد ذلك تؤكِّد أنَّ المكان لما.

(4) السِّياق يقتضي أنْ يكون الضمير للمُفرد المُذكَّر «شكله».

«من يعجبو عشق الملاح أفنى شاني»

يعني: لأنِّي رئيسهم، وفيه إشارة إلى أنَّ من كانت له روحانيَّة جَمَاليَّة فليتوجَّه إلى الحَقّ؛ إذ لا أجمل منه، وقوله:

«يعجبني يا قوم افتتاح ورد الزواني»

وهو نَوْر عجيب اللَّون؛ منه الأحمر والأبيض، تبتهج النُّفوس برؤيته، وتتذكَّر الجمال المَعْنوي به؛ فإنَّ الشيء يذكر بالشيء[1]، وربما هذا كان داعياً للقول بالشاهد أو ليفهم أنَّه[2] مذهب الشيخ، وليس كذلك، واللَّه أعلم.

ومن الموافقة لهذه في الوزن والطبع والمعنى قوله:

[المُقطَّعة الرَّابعة]

«لـقـد أنـا شـيء عـجـيـب لـمـن رانـي

أنـا الـمـحـب والـحـبـيـب لـيـس لُـو ثـانـي»[3]

يعني: أنَّ العَبْد في كَمَاله لا أعجب منه؛ إذ حُبه للَّه راجع لذاته؛ إذ لا يُحبه إلَّا بِحَظِّه منه، ولا يشهده إلَّا بأثره فيه؛ لذلك قال الشبلي[4] رضي الله عنه: «كُل إشارة أشار بها الخَلق إلى الحَقّ فهي مردودة عليهم حتى يُشيروا إلى الحَقّ بالحَقّ، وليس لهم إلى ذلك سبيل، وهو مَعْنى ما ذكر أوَّل المُقطَّعة التي قبل[5]، وقوله:

«يا قاصداً غير الخبر غطاه عينكْ»

(1) جاء في **الصحاح**، مادة: ز و ن، 5/ 2132: الزَّوان حب يُخالط البُر.
(2) في الأصل أن.
(3) لو: أي: له.
(4) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي 247-334هـ بغدادي مولداً ونشأة؛ كان شيخاً في التصوُّف والظرف والعلم، وكان مالكي المذهب، وهو من أصحاب الصُّوفي الكبير الجنيد. انظر: **الرسالة القشيرية**، لعبد الكريم القشيري، ص419.
(5) في الأصل: قيل، ونظنه خطأ في النسخ.

يعني تعلُّقك بوجودك وهو عالم الجِسْم والروح والتعلُّق بها، وهذا مَعْنى ما تقدَّم في قوله: «فتَّشت من يَفْنى إلخ»، وقوله:

«فالخير مِنَّكْ والخبر والسر مِنَّكْ»

يعني أنَّ معرفة الحَقّ كُلّها في وجود العَبْد؛ قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1] وقال ﷺ: «من عرَف نفسه عرَف ربّه»[2]؛ إذ يستدل بأوصاف نفسه على كمال الحَقّ، وبكمال وُجود على وُجود صِفَات الحَقّ على التنزيه المُطلق، وفي مَعْنى ذلك لبعضهم شعر[3]:

ما بدا فهو وجه والذي غاب أعظم
وهو لا شك ظاهر وهو باد مكتَّم
لا تقل كيف لي به فَبِه عنه تفهم

[16/أ] ومَعْنى هذا الشِّعر تقدَّم في قوله: «رد الوجود واحد» إلخ، وقوله:

«وأنت من الأزمانِ»

يعني: تجلَّى لتجلِّي ما في الزمان كُلّه؛ ما تقدَّم أو تأخَّر؛ بحيث إنَّه نُسخة العالم كما تقدَّم عندك قوله: «وأنت ذاكر»، وفي المَعْنى أنشد ابن العربي[4] رضي الله عنه:

(1) سورة الذاريات، من الآية 21.

(2) لم أُوفق إلى تخريج هذا الحديث إلَّا ما وجدته من ذكر أصحاب **المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار**، إشراف علي رضا برازش، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، 19/ 13672، من أنَّ هذا الأثر قد جاء في أحاديث **بحار الأنوار**، 61/ 91، 99، 69/ 293.

(3) هذه الأبيات من مجزوء الرمل.

(4) روح البيتين يشي بأنَّ قائلهما ابن عربي الحاتمي الصُّوفي ولكن بالرجوع إلى ديوانه المطبوع لم أجدهما فيه، انظر: **ديوان ابن عربي**، شرح وتقديم نواف الجراح، ط1، دار صادر، بيروت، 1999.

أصبحت محلاً[1] للحبيب وكيف لا

أزهو على الفتيان والفتيات

أظهرتني وظهرت لي وظهر بي

في حضرة الإله والآيات

وقوله:

«**قُطب**[2] الزمانِ» يعني: أنَّ وجود الإنسان قُطب للموجودات؛ إذ عليها مداره حسّاً ومَعْنى، وقوله:

«**وفيك يُطوى ما انتشر من الأواني**»

أي: أنَّ كُلّ الموجود المُنتشر منطوٍ[3] في وجود العَبْد، لذلك قال بعض المشايخ رضي الله عنه: «العرش والكُرسي يكونان في ترسي»، وقال غيره: «هِمَّة العارف تتلاشى فيها جميع المَقْدورات، فضلاً عن المَخْلوقات، وفي مَعْنى ذلك أنشدوا: [الطويل]

لذا كنت كرسياً وعرشاً وجنة

ونـاراً وأفلاكاً وأحلاكا

ففيم التأني في الحضيض تشبثا[4]

مقيماً مع الأسرى أما آن إسراكا

وقوله:

«**اسمع كلامي والتهم**[5] **إن كنت تفهم**»

(1) لعلَّ الصَّواب: مَجْلًى، فيتَّسق البيت وزناً ومعنًى، والبيتان من الكامل، وثانيها مختلّ شطره الأخير.

(2) وردت في الأصل قصب؛ بالصَّاد، ويبدو أنَّها خطأ والصحيح قطب؛ أي: بالطاء.

(3) بالأصل منطوي، والصَّحيح بلا ياء: منطو.

(4) بالأصل تشبطا ونظنه خطأ تسرَّب من اللَّهجة.

(5) هكذا وردت بالأصل ولعل الصحيح واتَّهم من التهمة أو هو ولتهم؛ أي: لتصر هيمان، وليس من الالتهام.

تنبيه لمن له فَهم على إلقاء التسمُّع لِمَعْنى الكَلَام، وهو قوله:

«لكنَّ كنزكْ»

يعني: الذي هو العرفان المدفون في طي وجودك.

«قد عرا عن كُلّ طلسمْ»

يعني: أنَّه لا حِجَاب عليك حتى لا[1] تطلب رفعه، وإنَّما هو إزالة الأوهام الصَّارفة عن المقصود، وإلف العيوب المتراكمة على النُّفوس، وهذا مَعْنى ما أشار إليه ابن عطاء الله ﷺ بقوله: «لولا ميادين النفوس ما تحقّق سير السائرين؛ [إذ][2] لا مسافة بينك وبينه حتى تطويه أرحلتك[3]، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك» اهـ[4]. وقوله:

«من هو المكلمْ والكليمْ على طور الأفهامْ»

أتى [16/ب] به على سبيل البرهان فيما ادَّعاه من عالم الحِجاب؛ فإنَّ إفادة الحقيقة من غيب لغيب والمكلم والكليم فيهم علّها لا يعقل تعدُّده، فكيف يصحّ الحِجَاب فيه، وقوله:

«اسمع ندائي من قريب بلا آذانْ»

يعني: المُكالمة الواقعة في باب الحقيقة إنَّما هو الحَقّ وهي لِسان حالها، يقول: «اسمع ندائي من قريب وهي نفسك التي لا يعقل في سَماع حديثها الآذان، ولا في كلامها الأفواه، وهذا حالها؛ قال الشيخ أبو محمد المرجاني[5] ﷺ: «من ظنَّ اللَّه يُكلِّمه كما كَلَّم موسى ﷺ فقد أخطأ، وإنَّما

(1) هكذا وردت، ولعلَّ الصَّواب بدون لا.
(2) زيادة من **الحكم بشرح الرندي**.
(3) هكذا في الأصل وفي **الحكم بشرح الرندي**: تطويها رحلتك.
(4) **شرح حكم ابن عطاء الله**، للرندي، ص84.
(5) هو عبد اللَّه بن محمد بن عبد الملك، تونسي الأصل ولد بالإسكندرية عام 633هـ وتوفِّي بتونس عام 699هـ صوفي مُفسِّر، من كُتبه: **الفتوحات الربانية في المواعيد** =

المُكالمة عند القوم مُخاطبة عوالمهم اللَّطيفة، وأضافوها لعدم الاختيار فيها»، وقوله:

«وشمس ذاتي لا تغيب عن العيانِ»

يعني: أنَّ الحقيقة بادية لها كبدو الشَّمس، مع عِلْمه بوجودها، والحقيقة مُنادية بِلِسان حالها، كما ذكر، وقوله:

«انظر جمالي شاهدني كُلّ إنسانِ»

هذا خاطب الحقيقة وجمالها الشاهد في كُلّ شيء ظهر، وآثار الصفات والمعاني العِلَّة في كُلّ موجود أنَّ لا موجب للوجود سِواها، وقوله:

«كالماء يجري نافذ في أسير الأغصانِ»

يعني: سَرَيان الحقيقة في الخَلْق كسريان الماء في أُصول الشجر لا يعرف به حتى يظهر أثره، ثم قال:

«فالماء واحد والزهر ألوانِ»

زيادة في الاعتبار؛ وهو أنَّ القُدرة وصف واحد، وكذا الإرادة، مع تنوع الموجودات، فإذا رأيت هذا فاسجد لهيبة الجَلال؛ يعني: أنَّ هذه الاعتبارات بِعَظَمة الحَقّ؛ أعني بِظُهورها لِقَلبك أيَّها العبد، وذلك الذي أوجب[1] لك السُّجود وهو دليل القلب بين يدي الرب، ولا يصحّ هذا إلا عند التداني؛ يعني: عند إشعارك بقُربك الحَقّ، وشُهود تصرُّفه فيك مع كل نفَس، وهذا معنى قول ابن عطاء اللَّه رضي الله عنه: «ما من نفَس تبديه إلَّا وله فيك قدر يمضيه»[2]، فانظر [17/أ] شرحه، وقوله:

«ولتقرأ آيات الكمالْ سبع المثاني»

= المرجانية، و**بهجة الشموس والأسرار في تاريخ هجرة المختار**، انظر: **الأعلام**، للزركلي، 4/ 125، لكنَّني لم أعثر على قوله هذا.

(1) في الأصل وجب.

(2) انظر: **شرح الحكم العطائية**، للرندي، ص50.

يعني أنَّك تجري على ما تحت الكتاب من المعاني، وهو الشُّكر وشُهود المنة، ورؤية جَلال الحقِّ بالعبادة، ثم العبوديَّة، ثم بالضراعة والتبرؤ والتطارح على باب الحقّ سبحانه وتعالى.

قال سيِّدنا وأُستاذنا ووسيلتنا إلى اللَّه عز وجل، العارف بربه سيدي أبو العباس أحمد زروق نفعنا اللَّه به: وهذا ما يسَّر اللَّه من هذا النوع، وقد طال النَّفَس فيه والفهم خلافه، والعاقل اللَّبيب يفهم الجميع من الواحد من كلامه، وكُلّه بين الإشكال فيه على من فهم شيئاً منه، وباللَّه التوفيق، وهو حَسْبنا ونعم الوكيل.

وصلَّى اللَّه على سيِّدنا محمد خَاتم النبيين وإمام المُرسلين

وآخر دعوانا أنَّ الحمد للَّه رب العالمين.